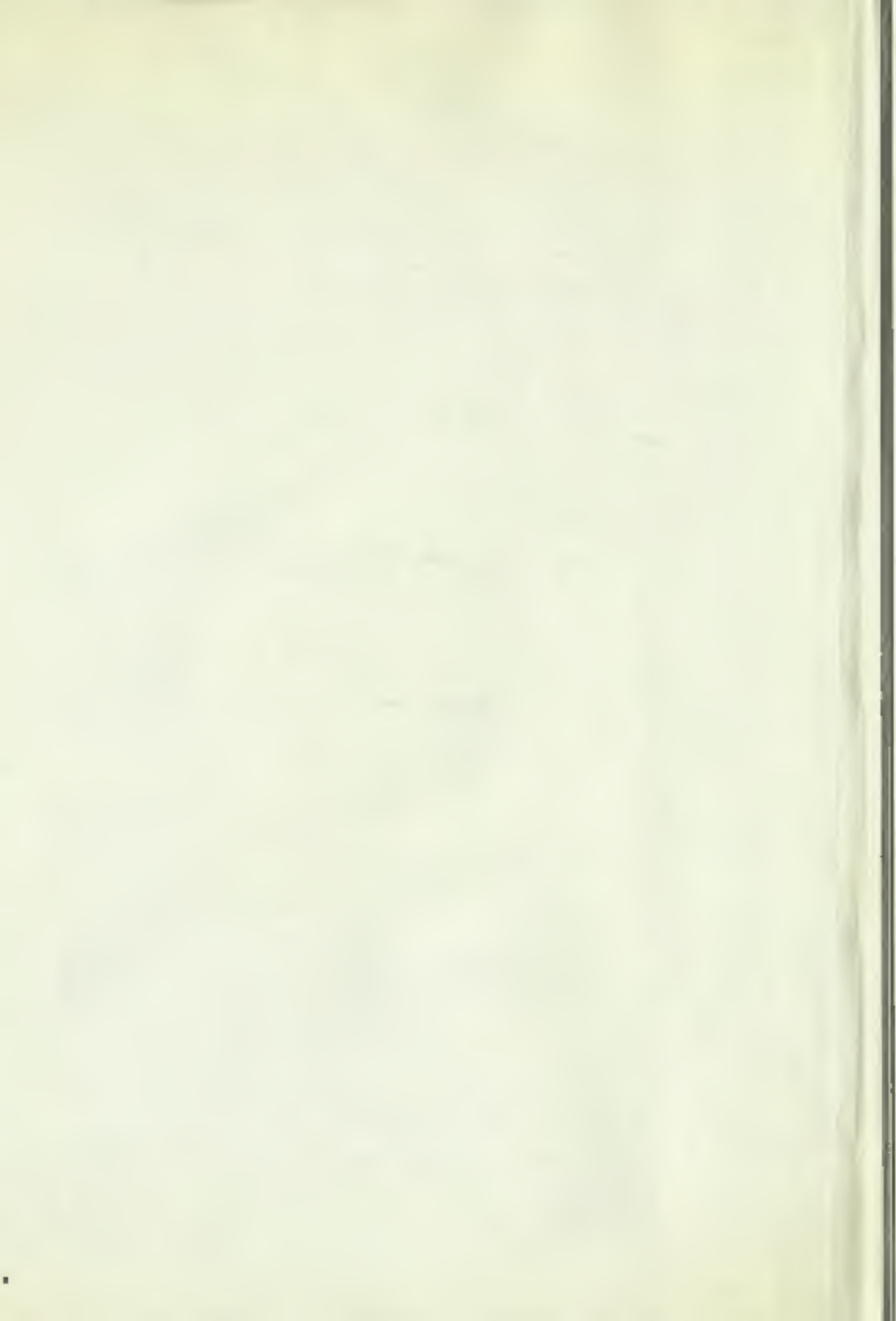
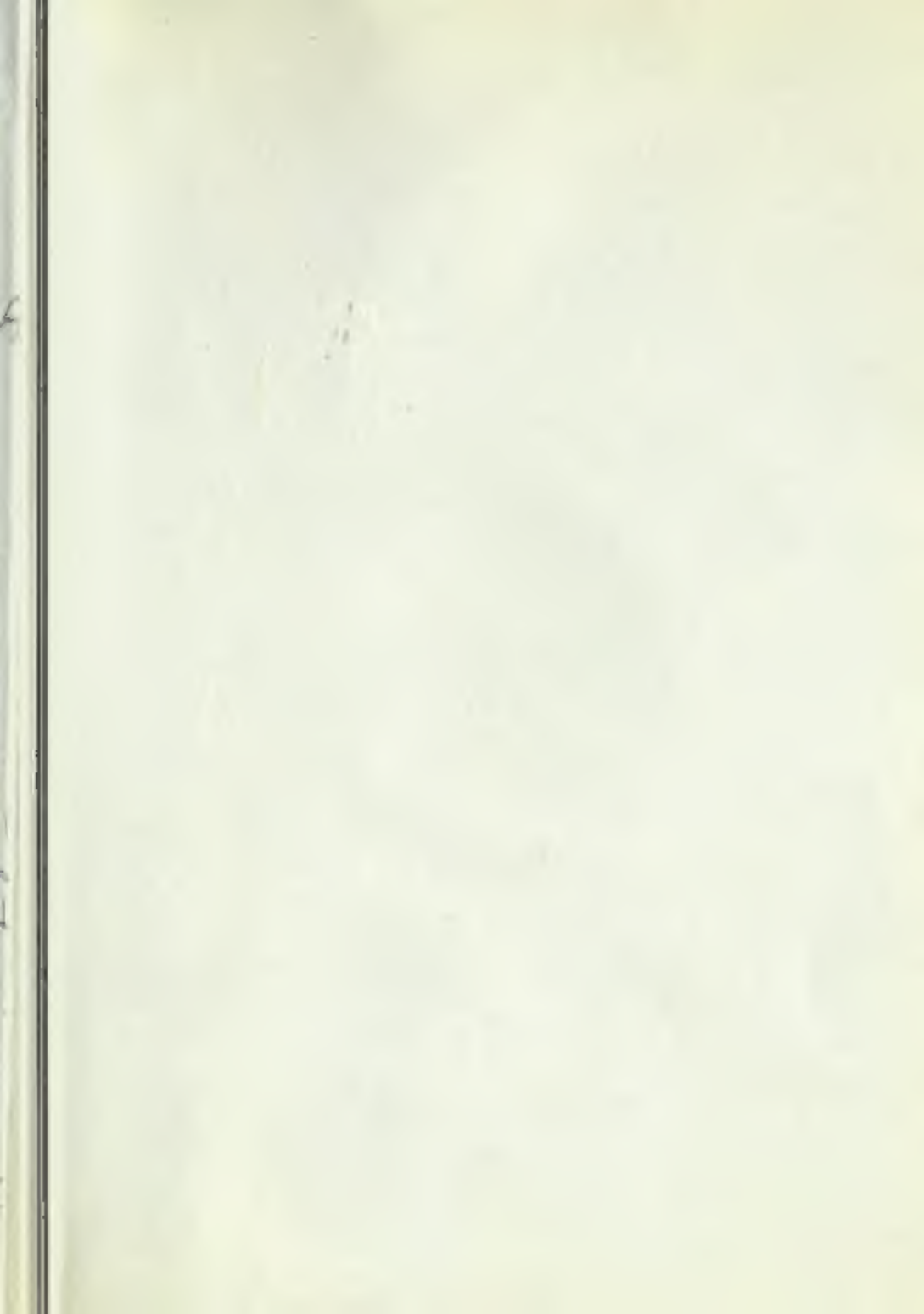




AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT







مكتبة
ابو القاسم

ACC/7/4

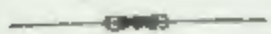
492
H676PA

اللغات السامية

492
H676PA
C.1

المحكمة

في سوريا ولبنان



فيليب حتي ، دكتور في الفلسف

49689

بيروت

المطبعة الادبية — سنة ١٩٢٢

اللغات السامية

المحكمة في سوريا ولبنان

بحث تاونجي فيلولوجي في تحدّد اللغات السامية ، وثعاب الامورية والآرامية والعربية منها في سوريا ، وما تخلل ذلك من اللغات غير السامية كالغوتية والآرامية ، ووصف التنازع النيف بين السريانية والعربية بعد الفتح الاسلامي ، ويأتى ما بقي من الآثار السريانية في ضفة اهل لبنان

يقول السوريون عن انفسهم انهم "أولاد عرب" ، وبهذا الاسم عرفوا في بعض اماكن هجرتهم . وربما كان هذا اللقب لازمهم في الولايات المتحدة للآن لولا ان قام في اواخر القرن الثاثة مستشرق في كولومبيا وفي افكار الجمهور الى ان اولئك المهاجرين السود الشعوب والعيون ، السمر البشرية ، النازلين في الاطراف الجنوبية من مدينة نيو يورك ليسوا عرباً على الاطلاق بل سوريون

وانك اذا دققت البحث مع من يقول عن نفسه انه " ابن عرب " فربما سلّم معك ان لعلّه كان من اصل كنماني فينيقي ، او آرامي سرياني ، او فارسي ، او يوناني ، او افرنجي صليبي ، ولكنك يصرّ على انه ابن عرب باعتبار لفته . وسرى في هذا البحث كيف ان اللغة العربية دخيلة في سوريا ، وجل سكّان البلاد لم يتكلموها الا بعد الفتح الاسلامي - وهو حادث حديث باعتبار تاريخ البلاد المتوغل في القدم

اللغة الاولى الآسامية

ما هي اول لغة نطق بها ابناء هذه البلاد ؟ هذا سؤال لا سبيل لنا لمعرفة الجواب عليه بالتحقيق ، لا سيما وان السوري في اول عهد ومطلع فجر تاريخه - شأن غير من بني البشر - كان له ولا شك لغة محكمة فقط لا مكتوبة ، لم تترك اثرًا نتعرفها به ولا واسطة نهدينا الى معرفة كتبها . اما اذا حوّلنا السؤال الى صورة اخرى بحيث يصير : ما هي في عرف التاريخ اقدم الشعوب التي توطنت الاقاليم السورية ؟ فربما يصبح الجواب في حيز الإمكان . ومن هوية الشعب يستنتج نوع لفته الشعوب السابقة للعهد السامي : لقد اجمع عدد من علماء الآثار والتاريخ الحديثين

على ان سوريا قبل ان يقع التاريخ عنها حجاب كانت موطناً لشعب اوريّ غير سامية^(١). وذلك بدليل ما وجد فيها من الآثار التي يرجع عهدها لعصر الظّرّان ، والتي لا يمكن ان تكون سامية ، لان الشعوب السامية ، على ما تدل عليه لغاتها ، كانت قد بلغت شأواً بعيداً من المدنية قبل اتصالها بعضها عن بعض وتقرّرها في بلدان آسيا الغربية

ان اكتشافات مكليستر التّحقيقية في تل الجزر^(٢) تثبت وجود اقوام افاموا هنالك حوالي سنة ٣٠٠٠ ق م تدل بها يام على انهم كانوا قسار القامة غلاظ العظام ومن سكان الكهوف ، وانهم جروا على عادة احراق موتاهم وهي ، كما هو معلوم — عادة غير سامية^(٣). ويستنتج مكليستر من تقيّباته ان العصر السامي لم يدخل بلدة جزر الا بعد ذلك بنحو خمسة قرون . ومن الآثار القديمة التي اكتشفها شوغرت^(٤) شرقي الاردن ما يرجع في الراجح الى العهد السابق للعصر السامي . ومنذ تسع سنوات عثر هوغرت ، وولي ، ولورنس^(٥) في عاصمة الحثيين القديمة على الضفة الغربية من الفرات ، وهي المعروفة اليوم باسم جرّابلس ، على ما ثبت وجود شعب استوطن هذه المدينة من اعمال سوريا الشمالية قبل ان ادركها الشعب السامي

وفي متحف الجامعة الاميركانية في بيروت عاديّات وأوان خزفية من خرابات جميل تيجانس — على ما يقول ولي — الآثار الخزفية السابقة للعهد السامي المكتشفة في تل الجزر جنوباً وجرّابلس شمالاً ، ومنها يجوز لنا ان نستنتج ان انتشار الشعب غير السامي كان طامعاً في سوريا

ولنا عدا الشهادات الأثرية مستندات اثولوجية^(٦) تؤيد ذلك . فالتقوش المصرية

(١) ص ٦ Lewis B. Paton, "Early History of Syria and Palestine"

(٢) وفي التوراة "جزر" قض ٢٩:١ . وموقعة على مسافة ١٦ ميلاً من بافا قرب مكان يدعى "ابوشوشة"

(٣) مجلد اس ٦ و ٨ "Excavations of Gezer" R. A. Stewart Macalister

(٤) ص ١٢٣ Schumacher, "The Jaulan"

(٥) وهو الكولونل لورنس المعروف في تاريخ النهضة العربية الحديثة

(٦) الاثولوجيا علم يبحث به عن اصول الاجناس واتسارها

١٥٣٩-١٢٦

والاشورية القديمة تمثل السوري في الغالب بصفته اسم اللون اسود الشعر الا انها احيانا
تمثله كأنه اشقر اللون احمر الشعر^(١). والتقاليد اليهودية تشير الى ان باث - الاشقر -
اخيه كنعان وسام كان من سكان فلسطين^(٢). وفي نصوص العهد القديم آيات تدل على
تدكارات لما علاقة بشعوب غربية سالفة كالحوريين مثلاً الذين "طردهم بنو عيسو
وابادوهم من قدامهم"^(٣). على انه يصعب علينا الجزم بان الحوريين هم نفسهم الشعب
الاوربي الذي اتخذ هذه البلاد مسكناً له قبل تزوج بني سام اليها

ما حل بهذه الشعوب هو انها في الراجح انقرضت امام القبائل السامية الزاحفة. ولا
شك ان بعضها امتزج بالساميين بواسطة التزاوج امتزاج الماء بالراح بحيث لم يعد يمكن
افراز العناصر الغريبة عن الاهلين الاصليين، وهو ما حل بعد ذلك بكثير من الأمر
اليونانية والرومانية والصلبية على ما حثته فيها يلى. ويوجب مبدأ العودة الى الاصل
نرى بين العبرانيين آثار دم غير سامي كما كان دأود مثلاً قائم على ما نص الكتاب كان
"اشقر جميل المنظر"^(٤). والذي يقوّل في ايامنا هذه بين قري فلسطين ولبنان لا تُدعى
روية البعض من ذوي العيون الزرقاء والبشرة البيضاء الذين يرجع اصلهم ولا شك الى
دم سوري اصلي ان لم يكن الى دم صليبي

والذي نرجحه ان في القرون السابقة للعهد التاريخي استوطن شفة البحر المتوسط
كلها - بما فيها سوريا ومصر واغريقية (اليونان) وابطاليا - شعب اوربي الاصل، غير
سامي الملامح، وبقي في سوريا الى ان طمت عليه موجات الاقوام السامية^(٥) فانقرض بعضه
بالحروب واجتمع الآخر بالتزاوج
والمحصل من كل ذلك ان اللغة الأولى المحكية في سوريا على ما نعلم الان لم تكن لغة
سامية. وذلك جل ما نستطيع ان نقوله بشأنها. هذه اول قضية نريد تقريرها

(١) ص ٤ - Paton (٢) تك ٩: ٢٧ (٣) تث ٢: ١٣ (٤) صموئيل
الاول ١٧: ٤٢ (٥) وفي كتاب ظهر حديثاً بقلم G. Aulran من المدرسة الافرنسية
للآثار الشرقية في القاهرة وعنوانه "Phéniciens" ان الميسنيين الذين اقاموا في بلاد
اليونان قبل العصر اليوناني المعروف ازدهروا على السواحل السورية من نحو سنة ٢٣٠٠
ق م الى قدوم الفينيقيين نحو سنة ١٢٠٠ وهو رأي يعيد عن الاحتمال

اللغة السامية الأصلية

ما لنا وللمصور السابق للتاريخ ، فسور يا بلاد سامية منذ أوائل عهدها . ويصعب القول على سبيل الاجمال انها ابدأ كانت ولم تزل بلاداً سامية يقومها ولغتها وبديتها ومدنيتها فما هي ترى اقدم لغة سامية نطق بها ابناءؤها ؟

لا بد قبل الجواب على هذا السؤال من معرفة من هم الشعوب الساميون ، وما هي اللغات السامية وعلاقة بعضها ببعض ، وقبهم النظرية بشأن مهد الجنس السامي وموطن أم اللغات السامية

إذا نظرنا الى خارطة العالم القديم ترى ان البلدان التي يتكلم اهلها اليوم لغات سامية هي (١) سوريا الى جبال طورس شمالاً و (٢) وادي الدجلة والفرات من راس الخليج الفارسي جنوباً الى الموصل وديار بكر شمالاً و (٣) شبه جزيرة العرب و (٤) الشواطئ الافريقية الشمالية من مصر والحبشة شرقاً الى الجزائر ومراكش غرباً . ثم اذا عدنا بعين الذاكرة الى العصر الفائت نجد ان هذه البلدان نفسها (ما عدا البلدان الافريقية الغربية) هي التي توطنها البابليون والآشوريون والعبرانيون والفينيقيون والآراميون والمصريون القدمون والإثيوبيون . واذا فارقنا بين اللغات التي تكلمتها هذه الاقوام من بابلية وآرامية وعبرانية وعربية وحشية ترى بينها من التجانس والتقابل ما يحولنا حق ارجاعها الى اصل واحد . فمن خصائصها المشتركة (١) ان الاشتقاقات فيها كلها ترجع الى اصل ثلاثي الاحرف (٢) ان الضمائر فيها كلها متشابهة النظم والمبنى (٣) ان لكلماتها فعلين فقط ماخذها ومضارعاً (٤) ان تصاريف الافعال فيها تجري على اسلوب واحد (٥) ان تركيب الجمل فيها متقارن متماثل (٦) ان في كلها الفاظاً مترادفة متقاربة تدل على اصل سامي واحد "كليت" "ارض" "شمس" "ثور" "لسان" (١)

فكسبة هذه اللغات بعضها الى بعضها والى أمها السامية ككسبة اللغات الافريقية والاسبانية والبرتغالية والايطالية بعضها الى بعضها والى أمها اللاتينية . والفرق بين

(١) لسان بالعربية تقابل لسانو بالاشورية ، لِسُون بالعبرانية ، ولسَانَا بالسريانية . ولفظه ثور يرادفها شورو بالاشورية ، وشور بالعبرانية ، وتوراً بالمصرية

الفرحين ان الام السامية انقرضت وبقيت فروعها بخلاف اللاتينية التي عثرت للآن في الكتب والمخطوطات

ومن الجدول على الصفحة التالية نصير علائق هذه اللغات السامية بعضها ببعض ثم اذا عارضنا المنشآت الاجتماعية والمزايا العقلية المختصة بهذه الشعوب البابلية والعبرانية والآرامية والعربية ودرسنا خصائصها الفسيولوجية وملاحظها الوجهية نرى بينها من التقارب والتماثل ما يحولنا حق الاستنتاج انها كلها ترجع الى جذع قومي واحد . فاللغة والعقيدة والتركيب البشري والاصطلاحات الاجتماعية كلها تشير الى وحدة المبدأ والاصل

فالنظرية اذا الذي يقول عليها معظم المستشرقين انه لا بد من يوم عاش فيه في بقعة من البقاع قبيلة سامية منها نشبت الشعوب السامية المعروفة ، وان تلك القبيلة كانت تتكلم لغة سامية واحدة ، لا أثر لها الآن ، منها تفرعت اللغات السامية المألوفة . فاين عاشت ترى تلك القبيلة ؟ وبمارة اخرى ما هو مهد الجنس السامي واين هو ؟

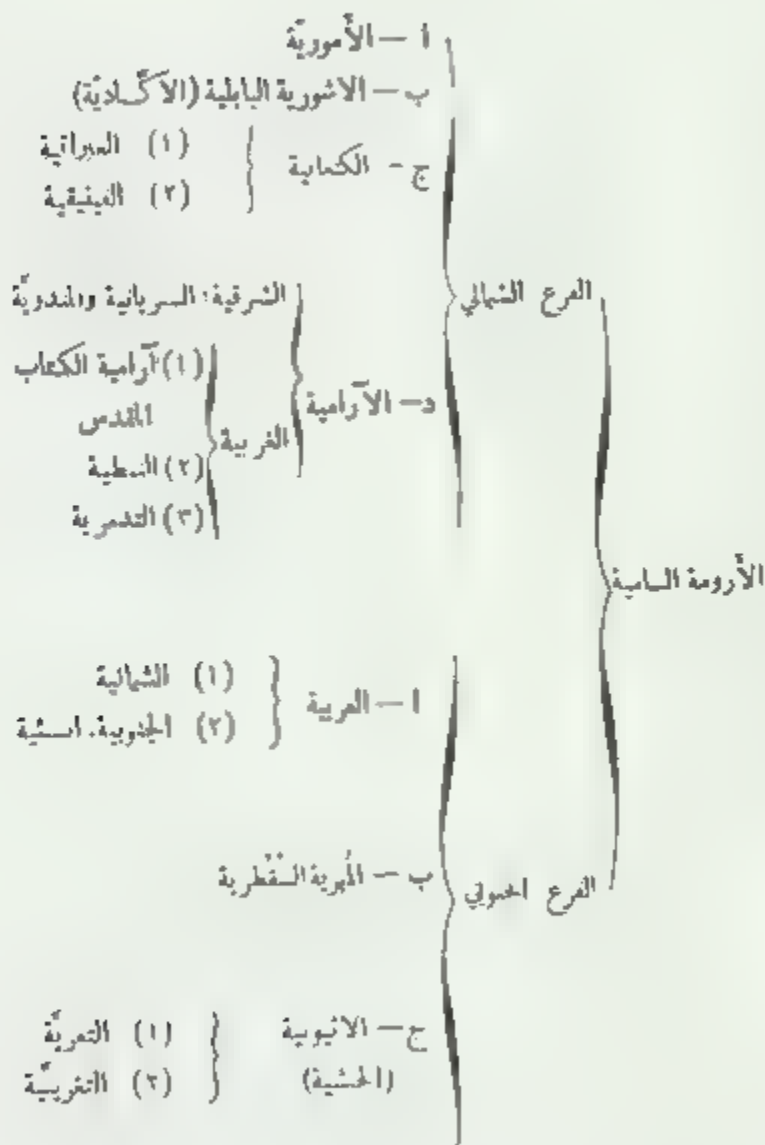
مهد الجنس السامي

لقد ذهب الباحثون في تعيين موطن الساميين الاول مذاهب ثلاثة رئيسية اولها ان بلاد بين النهرين وبابل هي المقام الاول الذي منه تفرع الجنس السامي وارتحلت اسباطه للجنوب والغرب . وفي طليعة القائلين بهذا الرأي كريمر Kremer وفون همل von Hommel الالمانيان وغوبدي Galdi الايطالي صاحب المحاضرات المعروفة في الجامعة المصرية . وبراهين غوبدي تعتبر اقوى ادلة أقيمت لدعم هذا الرأي . واول من بحث في تاريخ اللغات السامية بحثاً علمياً وأسهب فيه هو العالم الافرسي ارست رنان . ويلوح من كتاباته انه يعتبر اعلى ارمينيا الوطن الاول للساميين ^(١) . ويعتمد الكثيرون من اتباع هذا الرأي على اقوال العهد القديم لعقد مبدؤهم

اما اصحاب الرأي الثاني فيقولون اقرقيا الشمالية الشرقية المهد السامي . ومن هؤلاء بلدريغ الانكليزي Palgrave وكذلك ^(٢) الالماني والاستاذ جنرو Jastrow الاميريكي

(١) ص ٣١-٣٢ من الطبعة الرابعة " Histoire des Langues Sémitiques " Renan.

(٢) ص ١١ " Semitischen Sprachen " Noldeke.



الدوق حديثاً - والبراهين التي يُوردها انما هذا المذهب أكثرها بولوجية مبنية على
التجاس بين اللغات السامية من جهة واللغات المصرية القديمة والقبطية والعربية والكوشية
من جهة أخرى - وفي اعتقادهم ان الساميين والحاميين^(١) من جدع واحد وان الساميين انفصلوا
عن الحاميين وزحوا من امريقيا لآسيا العربية ومهم تحدثت الشعوب السامية التاريخية
انما ازاي الوحية الذي انحاز اليه مؤرخاً معظم العلماء هو الرأي القائل بان شبه
جزيرة العرب هي الموطن الاصلي للوحدة السامية العظمى - ومن اول دعاة هذا الرأي
شبرلغر الالماني الذي في سنة ١٨٦١ اشار الى ذلك في احد تأليفه^(٢) وقد النظرية البابلية
بما اوتاه من ان من كان في طور اجتماعي زراعي - كبناء البلاد المأهولة - لا يتحمل
ان يتحولوا الى عيشة البداوة على ما تقتضيه الحال في البلاد العربية ، ولكن على عكس ذلك
فسن الاجتماع تقضي بالانتقال من البداوة الى الحضارة والزراعة - ومن الداعين هذا
المذهب ده عوبه de Guézo المولدي وساس Sayce^(٣) وربط Wright الانكليزيان
وهو المذهب الذي يقول به معظم علماء الشرق كصومط^(٤) وريدان^(٥) وغيرهما . وفي
الامة الانكليزية ليس من تفصيل لهذه الآراء اولى مما جاء به الاستاذ بارطس الاميركي^(٦)
الادلة على ان بلاد العرب هي المهد السامي . اما الاعتبارات التي تحمل لهذا الرأي
مسندة من القول فهي اولاً ان جغرافية البلاد العربية تؤيد بقسمة سطحها الى جزء داخلي
معظمه صحراء قفر غير صالحة للسكن وشقة بحرية ضيقة لتأحيها المياه ، وفي ازدياد عدد
السكان عن سعة البلاد فلا يبقى لهم سوى الرحيل وذلك اما شمالاً لسوريا او غرباً لافريقيا
او شرقاً لما بين النهرين . وثانياً ان سكان العربية يتنكرون للان بمعظم الخصائص التي

(١) المصريون الافقيون والبربر من سكان امريقيا الشمالية هم حاميون وهم امتزج

العرب بعد الفتح الاسلامي في بلاد المغرب

(٢) من ٢٤١ "Leben und Lehre des Mohammed" Sprenger

(٣) من ١٢ Assyrian Grammar (٤) راجع مقالته في اللغة العربية

المنشورة في مجلة الكلية سنة ١٩١١ (٥) راجع كتابه "العرب قبل الاسلام" ص ٣٢-٣٤

(٦) من ١-٣٠ "Semitic Origins" George A. Barton راجع ايضاً المجلد الاول

من ٣٠٦-٣٠٧ "History of Babylonia and Assyria" Robert W. Rogers

اشتهر بها الشعب السامي واهمها حرارة الايمان وشدة التصور والحساسة والرغبة في
الاقتراء والاعتزال ، الى غير ذلك مما ينطبق على مقتضيات حالة بدوية بسيطة ويشير
الى اصل قطري في بلاد رملية واسعة . وثالثا ان اللغة المرية حافظت أكثر من كل
احواثها الساميات على الاوضاع السامية والاصول القديمة . وربما ان السنة الاجتماعية
تستلزم تحول من طور البداوة الذي تقتضيه بلاد العرب الى طور الزراعة الذي تقتضيه
غيرها من البلدان السامية المجاورة كالعراق وسوريا والحبشة . وحامسا ان بعض قبائل
العرب ما زالت الى يومنا هذا وعلى مرأى من الجميع تسترب الى فلسطين والحيرة ومصر
وتقيم على الضواحي حيث تستبدل بيوت الشعر ببيوت الطين والحجر وتفرح مع غيرها من
السكان ، مما يمكن اتخاذها مثالا لا كان يجري في سالف الاحقاب

ولا بد في هذه المناسبة من الاشارة الى انه قام مؤخرآ احد الاساتذة الاميركيين
واسمه كلاي Clay من جامعة ياييل وحمل حملات عنيفة على النظرية المرية وفند
معتقداتها واحدة فواحدة في كتاب له حديث^(١) ووضع مذهبا جديدا خلاصته ان
امورو - اي سوريا الشمالية بما فيها الفراع ولسان^(٢) - هي الوطن الاول للساميين وعلى
الاخص الشماليين منهم ، وان الساميين والاشوريين نزحوا عنها الى الشرق ، وان المدنية
السورية والعمرانية والقيمية ليست دحيلة من بلاد العرب او من غيرها بل اصلية وطنية
متشعبة عن المدنية الآمورية القديمة^(٣)

الموجات السامية : اذا سلمنا ان بلاد العرب هي الموطن الاصلي للشعب السامي
ولغة السامية بنى عليها امر واحد وهو ان نشرح كيفية روح القائل السامية الى البلدان التي
يسكنها اليوم ساميون . ولا يصحح ذلك بحسب ان يعتبر ان الرحلة الاولى اتخذت الطريق
الشمالي الشرقي الى وادي الفرات ولمت أشدها حوالي عام ٣٥٠٠ ق م . تلك هي الهجرة
البابلية . وعقب ذلك موجة ثانية هي الموجة الآمورية الكعبانية التي تعاطم امرها حوالي
عام ٢٥٠٠ ق م واتخذت سوريا وجهتها . ولما نحو سنة ١٥٠٠ ق م موجة ثالثة هي

(١) ص ٢٧-٢٩ "The Empire of the Amorites" Albert T. Clay

(٢) نخدي عدد ١٣ ٢٩ وثنية ١٦ اشارة الى الاموريين الساكنين في الجبل

(٣) راجع مؤلفه 'Amarru the Home of the Northern Semites'

الموجة الارامية بما فيها من الفاضل المواتة والادومية وغيرها التي استوطنت سوريا و فلسطين .
 وحوالى سنة ٥٠٠ ق م بلغت الموجة الراسية اوجها وهي الموجة التي قتلت الابطاط الى
 شبه جزيرة سيناء . وبعد المسيح نحو ستة قرون حدثت الموجة الخامسة والاحيرة وهي
 المحيرة العربية الاسلامية التي بلغت اشد درجتها في ايام الفتوحات الاسلامية في
 لارس والعراق وسوريا ومصر

ويؤكد من مراجعة التواريخ المذكورة اعلاه ان بين الموجة الواحدة والآخرى نحو
 من الف سنة . وبما ان اخرى كان يقتضي للعوم العربي نحو من عشرة قرون ليتم
 ويظهر ويبيض على حوايه

واول من وضع هذه النظريه — نظرية الموجات في قرون متتامة منتظمة — هو
 فنكر الالماني (١) . واول من افاض في شرحها بالانكليزية هو باطل (٢) الاميركي
 ولا يتوهم القارى ان المقصود ان هذه الموجات كانت تحدث سنة او دفعة واحدة
 فان ذلك مخالف لتواقيس الهجرة الطبيعية بل المقصود انها كانت تستغرق سينا واعواما .
 وهي اشبه بدوح الشعوب الادوية من الغالبية وايرلندة وغيرها في ايمانها الى الولايات
 المتحدة ، او اليهودية الصهيونية الى فلسطين — لولا ان العنصر من المهاجرين اليهود يقدمون
 على المهاجرة اجابة لشويقات ولرعدات امطناعية لا لعوامل طبيعية

يقتضئ مما سبق ان البابليين هم اول الشعوب السامية التي انصهت عن الخدع
 السامي . ولكن البابليين اتحدوا وادي الرات مقام ، فلا علاقة لهم ولانتمهم ببعض . اما
 الاموريون هم اول الشعوب السامية التي استوطنت سوريا ولسان و فلسطين على ما نعلم .
 وعليه فاللغة السامية الاولى المحكية في هذه البلدان هي اللغة الامورية . تلك هي القضية
 الذاتية التي يريد تحريرها في دروسنا هذا

اللغة الامورية

يؤكد من ابحاث الاستاذ كلاي ان اللغة الامورية كانت لغة سامية محكية لا مكتوبة
 وان دولة الاموريين دالت قبل سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح ، ولكن اللغة استمرت وتوكت

(١) Hugo Winckler, Geschichte Babyoniens und Assyriens

(٢) Paton, "History of Syria and palestine" 1901 ص ٦-٧

آثاراً في اللغات البابلية والآرامية والعبرانية^(١)، ودواثرها لم تزل للآن مبعثرة في هاته اللغات. وما ذلك بالكل، بل الاستاد يعتبر الأمورية أملاً للبابلية والآرامية والعبرانية^(٢). وإن العبرانية هي اقرب اللغات اليها. وهو يصرح ان درس أسماء الاعلام الواردة في البابلية والكبدوكية التي يرتقي عهدنا لما قبل ٢٠٠ سنة ق.م درساً فيولوجياً بثقت وجود أسماء أمورية عديدة فيها. ومن المحتمل ان يكون بعض الامور بين اكتشاف الأمورية بالخط المسماري التالي على ضحف حرفيه للآن لم يثر النقاشون على شيء منها، او بخط اموري خاص على مادة عبر صديقه التلخف كالنردية ألفتها العاصر ولم تُق لها أثراً. ومن المعلوم ان الحبريات في سوريا لم يتجاوز عددها للآن عدد اصابع اليد. وقيل اكتشافات پتري Petro في سنة ١٨٩٤ في تل الحسي التي يرجع عهد قدمها لسنة ١٧٠٠ ق.م^(٣)، واكتشافات مكلتر سنة ١٩٠٢-١٩٠٩ في تل الحزر، وسلي Sellin في تلحك^(٤) التي يرتقي تاريخ اقدم آثارها لسنة ٣٠٠ ق.م. وفي تل المنسلح (البحر) - مجدو^(٥)، واكتشافات حادمة هرثرد في مسطيه (السامرة)، ما كان العالم يعرف شيئاً مذكوراً عن كتابات الشعوب السامية في سوريا. فمن له ان يفقه ما نفعه لنا بطون الارض في سوريا ولبنان من الكور التاريخية والحقايق العبرية

اللغة البابلية الاشورية. تاريخ سوريا وبلطيس القدم مرتبط ارتباطاً محكماً بتاريخ بابل ومصر. فمن نحو سنة ٢٢٣٠ ق.م الى ١٧٠٠ ق.م كانت البلاد السورية ولا سيما الحرة الشمالية معها - المنار اليه في الكتابات البابلية باسم "مارو" تحت تأثير العودة الشمالي. فوحدت اللغة السامية متقبلاً في البلاد. ولكن ما رجح انها فقط لم تصح لغة العامة فيها^(٦) بل بقيت لغة السياسة والحجارة. وعقيب سنة ١٥٧٥ ق.م في أيام

(١) شأن علاقه بني اسرائيل بالامور بين راجع عدد ٢١-٢١ ٣٥ وثنية ٢٤:٢-٣٧

(٢) من ٦٢ "Empire of the Amorites"

(٣) Frederick Bliss, "A Mound of Many Cities" (٤) يشوع ١١:١٧

(٥) الملوك الاول ١٢:٤ (٦) وبذلك يخالف الاب لاديس الذي يستنتج من كتابته

رسائل تل العمارنة بالبابلية ان ملك اللغة كانت لغة اهل سوريا ولبنان. راجع مقالته

التيبة "تسريح الانصار قبلما يحشوي لبنان من الآثار" المشرق سنة ١٩٠٣ من ٧٠٣

أحموزة مؤسس الدولة الثامنة عشرة في مصر وفي عهد أحد خلفائه تطوره الثالث دخلت سوريا واسمها «رُوطو» في النقوش الهيروغليفية - في حوزة الزراعة، وبقيت تحت السيطرة المصرية وعلى الإحصاء المحوري منها - أي فلسطين، إلى حوالي سنة ١٢٠٠ ق م. ولم تترك المذنية المصرية من آثار تذكر حتى على مدينة فلسطين. ولولا بعض الخنافس المنقوشة والأصناف المحفورة عليها بعض الرموز الهيروغليفية لما كان من شيء لدينا الآن يذكرنا بهذا العهد المصري القديم في بلادنا. ولا لشعرب ذلك إذا تذكرنا أن الزراعة مع طول عهد استيلائهم على فينيقية وفلسطين لم يهتموا باستعمار البلاد وكانوا يملكون أمر تدبير شؤونها المحلية إلى عمالك وطبيخين. وأما جنودهم فكانت بالأكثر من المرتزقة (أخود الماحورة) وعدوها قليل. وكل ما تروى بقي من الآثار التركية في سوريا ولبنان بعد ثلاثة آلاف سنة من الآن ليدكر العالم بأن هذه البلاد ظلت أربعة قرون كاملة تحت الحكم التركي ؟

مراسلات تل العمارنة : في سنة ١٨٨٨ عثرت ملاحية مصرية في الصعيد، وهي تنقب الأرض في مكان يقال له تل العمارنة، على الواح خزفية كتبها "ملوك" سوريون وفلسطينيون في حملة وعكا وصور وغيرها من المدن الساحلية وأرسلوها إلى أمهاتوب الثالث والرابع (سنة ١٤٠٠ ق م) يطلبون فيها المساعدة على الرعاة الخشيش الذين كانوا عندئذ يهددون المدن السورية ومن المريب أن تلك الواح كتبت باللغة البابلية مع أن سوريا يومئذ كانت تحت الياذة المصرية وكان العود البابلي السيامي قد تقلص عن سوريا قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون. وما يدل على أن البابلية لم تكن اللغة المحكية في سوريا ووحيد اغلاط لغوييه عديدة في تلك المكتبات والفاظ كسائية مدسوسة بين الالفاظ البابلية. وبلوح لنا أن لغة بابل كانت في تلك الأيام لغة السياسة الدولية والتجارة الاحثية في كل أنحاء آسيا العربية. وشأنها في ذلك شأن اللغة الانجليزية في عصرنا الحاضر

ومن الكلمات التي استأنت من البابلية إلى اللغات السامية التي عقيتها في سوريا ولم تزل

(١) لقد اكتشف حديثاً الأستاذ مته من جامعة شترسبورغ نقايا واحدة هيكل في

جيبيل يُظن أنه مصري

للان مستعملة فيها كلمة «هيكل» و«بي» و«قربان» و«مكين»^(١)
 ولم يكن للبابلية من احرف هجائية مكتوب بها . بل كان لها علامات كل واحدة منها
 تمثل مقطعا او كلمة ، كما هي الحال الان في اللغة الصينية . وكانت تطع بسمار رأسه مثلث
 على الواح خرفية طرية ثم تجفف في الشمس او تشوى في النار . وكان لا بد من معرفة
 نحو ٣٠٠ علامة قبل انتمكن من الكتابة بها . والعلامات مستعارة من السومارية التي كتبها
 السوماريون ومن الاقوام النعولية التي وجدها البابليون في وادي الفرات لدى برولم فيه .
 فهي — اي العلامات — ليست سامية

الحقيقية : اما لغة الحثيين الذين وطدوا قدمهم في شمالي سوريا مدة طويلة ، وفي اربان
 مجدم مدوا سلطتهم على لبنان والساحل وبعض فلسطين ، فعابها ما نعرفه عنها انها عبر سامية
 ولم تنتشر بين عامة البلاد ، وللان لم يتوقف المهاجرون لحل رموزها المبرعانية ولا انهم
 يشعرون على ذلك قبل ان يكتشف احدهم كتابة للحنانيين على الاقل احداهما حثية والاخرى
 لغة عبرها معروفة ، كما جرى السامريون عند ما فك اسرار الة المصرية بواسطة حجر رشيد
 ومن دوائر الة الحثية في الة العربية لفظة «شاعور» الكثيرة الورد في الاسماء
 الاسانية كشاعور حماما وشاعور عين صوب^(٢)

اللغة الفينيقية

اول لغة وضعت في احرف هجائية هي اللغة الفينيقية وذلك قبل المسيح بنحو اثني
 عشر قرناً . والفينيقية لغة سامية ، وهي فصيحة اللغة المبرانية وحقيقتها . وهي اللغة التي
 استعملها ابناء الساحل السوري بحراً من ست او سبع مئة سنة بداتها القرن الثاني عشر
 قبل المسيح . وفي الحقيقة التي نقلت فيها ظل الفراعنة عن سوريا وقبل ابي زحف اليها
 الزارة الاشوريون تمتعت المواني الفينيقية ، وانهم صور وصيدا ، باستقلال ذاتي وزهت فيها
 التجارة والصناعة . ومن عجائب الدهر ان القوم الذين استنبطوا . او على الاقل نشروا
 حروف الهجاء الاثني والعشرين وبذلك خدموا المدنية والعلم خدمة لا تضاهيها خدمة

(١) من شاء ان يراة فليراجع Zimmer, "Akkadische Fremdwörter"

(٢) راجع لامنس «أثر لسان» في المشرق سنة ١٩٠٢ من ٢٦٣

أخرى — لم يخلفوا آثاراً خطية تُذكر، لأن كتاباتهم كانت بالأكثر تجارية وعلى مادة
 مربعة الذهب . فأقدم الكتابات العيبية لا ترجع لما هو قبل القرن السادس قبل المسيح
 وأكثرها بما وُجد في قبرص ومصر والمستعمرات الفينيقية لا على الساحل السوري
 وقيت الفينيقية لغة أهل الساحل ودارت إلى أن اقتطعت الآرامية كما سنرى
 فيما بعد

العبرانية

بما كانت داخلية البلاد تُحكَّم الآرامية وسواها فكانت الفينيقية كان يهود فلسطين
 يتكلمون اللغة العبرانية . والعبرانية هي من أقدم اللغات السامية ، وإن كان عهدنا بها كلمة
 مكتوبة لا يرجع لما هو قبل سنة ٩٠٠ ق م وهو الزمن الذي كتب فيه ميثع ملك موآب
 الحجر الموائية المنسوب أقدم أثر عبراني يذكر أن انتصاره على إسرائيل^(١) . وجد هذا
 الحجر ، نشره الكاهن من القدس اسمه كلين Kline في ديبال سنة ١٨٦٨ . والحجر
 محفوظ اليوم في متحف اللوفر وهو من أول النصف الثاني من الألفية الأولى قبل
 في الشتاء الفائت

وبعد أن قضى مروحون الآشوري سنة ٧٢٢ ق م على دولة إسرائيل وسبوا أسباطها
 وبعد أن صرب نوح نصر الكلداني سنة ٥٨٦ ق م مدينة اورشليم وبقي أناسها ضُربت
 اللغة العبرانية صربة كادت تكون قاصمة لأن مسكنها في بال استعاضوا عنها بالآرامية
 وحافظوا عليها بعد رجوعهم إلى فلسطين ، وذلك تمسكت الآرامية من يهود فلسطين
 وأصبحت في أثل القرن الثالث قبل المسيح لغتهم الحكيمة . وعلى الاحمال صبح القول أن
 اللغة العبرانية بعد اصطهاد أطية خس السلوقي والتهفة المكسة في القرن الثاني قبل المسيح
 أصبحت لغة ميتة في فلسطين وفي سواها ، واقتصرت اليهود على استعمالها في الطقوس
 والكتب الدينية ، ومنها سفر دانيال الذي كتب سنة ١٦٦ ق م بعضه بالآرامية
 وأكثره بالعبرانية

(١) ملوك ٢ الأصحاح ٣٢ (٢) هي ديبال المذكورة في عدد ٢١ ٣٠

اللغة اليونانية

في سنة ٣٣٢ ق م احتاح الاسكندر البلاد السورية واعتصمها من يد الفرس الذين كانوا سيطروا عليها من زمن كورش ول ذلك نحو قرنين ، وبذلك دخلت اللغة اليونانية الى هذه الديار . واللغة الفارسية هي اول لغة آرية وجدت الى سور يا مبيلاً ، ولكنها لم تنجح قط من البلاد ولم تترك لها أثراً مذكوراً على لغة الاهلين الساميين لاني هذه الآونة ولا فيما بعد على عهد كسرى ابرويز الذي قطب على سور يا سنة ٦١١ للمسيح وعملاً بالمدن الذي جرى عليه كثير من الفاتحين اقتناع الخليفة معاوية قوماً من العمم واستقدمهم الى مدن بلاد الشام الساحلية وبعلبك على ما ذكر اليعقوبي^(١) والبلاذري^(٢) ورعنا كان من بقاياهم اليوم الخاتلة والتصيرية . ومع ذلك فلا يحق لنا اعتبار الفارسية من لغات سور يا النائدة ، لان استعمالها لم يعم بين الاهلين كلفه يومية .

وبعد الاسكندر اتحد خلفاؤه السلوقيون انطاكية عاصمتهم وانشأوا المستعمرات اليونانية وحاولوا البلاد بالمهاجرين اليونانيين والكنديين . فاعلم المستعمرون في المدن واشتملوا بالتجارة واصمموا الى من تحلف بين البلاد من جيش الاسكندر . وبذلك قوي النصر اليوناني في المستعمرات السلوقية كانبهاكية واغاميا (قلعة المصيق) وكليس (كلس) واللاذقية وسلفية ، وفي المدن الساحلية من مدقة وعلطسية ، وفي المراكز التجارية في داخلية البلاد كتنس ودمشق . على ان اللغة اليونانية لم تصح قط في البلاد لغة العامة الذين اصروا على التكلم بالآرامية السريانية ، ولكنها كانت لغة الرياضة والتجارة والعلم كما كانت البابلية من قبلها^(٣) . وبما يتحقق الاعتراف ان الآرامية على عهد السلوقيين لم تكشف بالسيادة على سور يا فقط بل تناوبت مع الفارسية والعربية ايضاً .

وفي بعض المدن كما في ندمر كانت اعلانات الحكام تُنشر بالعين اليونانية والآرامية معاً . وبعض الملوك السلوقيين في اواخر عهد الدولة تلقوا بالقبائل سامية ككلاس وريباس وسربيس وغيرها . وحرث عادة بعض الاشخاص السوريين على الحاق اسماء يونانية

(١) كتاب البلدان (طبعة لندن) ص ١١٤ (٢) فتوح البلدان ص ١١٧

(٣) ص ١٠ - ١١ E S Bouchler, "Syria as a Roman province"

بأسمائهم السامية - واثلة ذلك كثيرة في أسماء العهد الجديد - أو ترجمة أسمائهم إلى اليونانية . ومن هؤلاء أمير من أمراء تدمر اسمه الأصلي « وَهَبُ أَلَلَات » وعُرف باسم « اثينودورس » أي عطية أثينا (بدلاً من اللات)

أما أسماء المدن فالمستعمرات اليونانية منها كانتاكية واللاذقية (لأودوسيه) فقد حافظت على أسمائها اليونانية الأصلية معص التعريف ولكن عبرها التي يدل اليونان أسماءها الآرامية الأصلية بأسماء يونانية كحلب (بريا) وحماة (ابعابيا) وشمس (هيرابوليس) ومطبك (هليوبوليس) وعكا (مطايبوس) وتدمر (لمعيرا) ، فلها ما أنت ان استدرت بعد حين أسماءها الأصلية السامية واستقرت عليها إلى الآن

ثم أنه نداعي الثاني العظيم بين اللسانين الآرامي واليوناني الآري بقيت اللتان مفروزة أحدهما عن صاحبتها غير مختلطين كما بقيت العربية مفروزة عن الآسايولية في الأندلس . وكما ان العربية والآسايولية نادلتا كثيراً من المفردات كذلك الآرامية واليونانية تقار صتا الألفاظ كما يتبين من درس لغة أسماء العهد الجديد المكتوبة باليونانية ودرس الكتب السريانية القديمة

أما لسان فكل من قام فيه من اليونانيين الأتروينجا للنص أو لأهل معين . ولذلك فلما نجد من أسماء الاممك السامية ما يمكن رده إلى أصل يوناني . وربما كانت « الكورة » من كلمة يونانية معناها الناحية ، و « طاميش » من ارطاميش الإلهة ، و « سوية » من كلمة معناها الزاوية و « ماخلة ليس في لسان أكثر من عشرة اعلام مكانية يمكن ردها إلى أصل يوناني »^١ وهو عدد يسير لا يمسأ به بالنسبة للأعلام المذكورة الثالثة ساميتها

اللاتينية

في سنة ٦٣ - ٦٤ احتاج القائد الروماني بومباي اللاد السورية فدخلت في حوزة الرومان واصافت إلى عداد لغاتها لغة أخرى هي اللغة اللاتينية التي أصبحت لغة المحاكم والتشريع - لالغة السوق والبث - وطلت على ذلك إلى ما بعد المسيح بنحو ثلاثة قرون . وما لا ريب فيه ان لغة التدريس في كلية الحنق التي ازدهرت في بيروت في القرن الثالث والرابع والخامس بعد المسيح كانت اللغة اللاتينية

(١) لامس « النتائج التاريخية من درس أماكن الاعلام البليانية » المشرق سنة ١٩٠٦ ص ٨٢

وما هو حريّ بالاعتبار ان الفاتحين الرومان كانوا يختلفون عن الفاتحين اليونان بعدم اهتمامهم بدرس اخلاق ولغات القوم الذين كانوا يسلطون عليهم وفي سوريا كان المستعمرون منهم اقل عدداً من المستعمرين اليونان الذين تقدموا، وكان بعضهم ولا شك يحسن التكلم باليونانية . ومعظمهم اقاموا في مدن السواحل والمراكز التجارية لا في الجبال والقرى ، فاصابهم تنوالي الاعوام ما اصاب المستعمرين اليونان ، المرأة الصليبيين اي انهم طوّخوا في الخطوط التسابية والسموا في الرفاه والرخاء وازدهارهم وازدهارهم في المدن حيث تنتشر الامراض والادوية الفتاكة وتكثر الوفيات فهدد ديمهم وانقرض جملهم تنوالي الاعوام ، وانقرضت معهم لغتهم ، ومن لم ينقرض اندمج بالوطنيين وانضم بهم . ومن المعلوم ان السوري من اشد الام حيوية ومحافظ على كيانه . فانه طالما عصم ومثل في جسمه من الشعوب وثبت على قوميته وخصائصه . واذا كان عدد الاسر التي تغمر طوبلا في المدن قلت في وقتنا هذا مع توفر الاسباب المصحبة لها ، فاداك كانت حالتها في الاحبال القديمة . فالبر والحال في كل عصر وبلاد هي التي تتكامل بامداد المدن بالدم الحديد النش للاجسام والمشدد للقوى

ففي العهد الروماني ، اذن كما في العهد اليوناني الذي سبقه كانت الارامية لغة اهل البلاد ، وكان العصر الثالث في كلا العهدين العصر السامي لا العصر الاوربي وما يبدل على هذه تسمى اللغة اللاتينية من اللسانية انها لم تترك ثراً على اسماء الاممكة فيه وربما كانت « عظام » اللمطة الوحيدة التي يمكن ان نعروها الى كلمة لاتينية هي « أغسطس » . اما في فلسطين من الاسماء اللاتينية « طبرية » المنسوبة الى طيباريوس الامبراطور و« قيسرية » المنسوبة الى القيصر ومن المحقق ان القديس يوحنا لم الذهب الذي رها في اواخر القرن الرابع في ابدائية المستعمرة اليونانية لم يكن سامعوه دائماً يفهمون لغته لانهم كانوا من متكلمي السريانية

ولا عبارة بالكتابات اليونانية واللاتينية التي مجددها في سوريا ولبنان ، فان اكثرها مما امر بنقله رجال الحكم او العلم . ووجود اعلاط عديدة فيها مما يثبت ان الذين عهد اليهم امر كتابتها كانوا يرمعون الالفاظ على طريقة ميكانيكية دون ان يدركوا معانيها . ولا

نذكر ان عدداً من الوجهاء السوريين جنحوا للأدب اليونانية والرومانية كما يجتج في ايماننا
 عدد من مواطنينا « للترغ » وللاقتباس من لغات الاوربيين ومصطلحاتهم
 وحلاصة البحث عما مرَّ أن اللغة الثالثة في سوريا ولبنان من اول فجر التاريخ كانت ابدأ
 لغة سامية من أمورية أو لاآرامية وفيبقيّة وعبرانية ثانياً، وان اللغات عبر السامية من
 فارسية وبونانية ولاتينية عجزت عن ان تسيطر فيما سوى النواثر الرسمية على لسان الاهلين
 اللغة الآرامية السريانية

إذا كان لا بد من تعيين لغة أصلية لأهـ سوريا ولبنان فاللغة الآرامية — وبمنوع
 أحسن السريانية — هي تلك اللغة الأصلية . فان الاهلين على سبيل الاحمال تكلموها
 من نحو القرن السادس قبل المسيح الى بدء القرن التاسع بعد المسيح . ولابد « آرام » هو
 الاسم الذي عرفت به سوريا الشمالية الى ان اطلق عليها اليونان اسم « سوريا » . وفي
 كتابات العهد القديم اشارات حمّة الى « آرام دمشق »^(١) و « آرام الهرين »^(٢) مما يدل
 على ان لفظة آرام كانت تشمل سوريا الشمالية والمحوفة مع بلاد ما بين النهرين
 ولقد كان للآراميين في القرن التاسع قبل المسيح ملك صغيم مستقل يزعمه دمشق
 وحمّاء داود الاشوريين . وقف سدّا في سبيل تقدمهم نحو العرب^(٣) . ومن اشهر ملوكهم
 حزائيل واسنه سهدد^(٤)

وليس بين اللغات السامية لغة نضاجي الارامسة من حيث المعنى اللغوي وسعة الانتشار
 وشدة النعود سوى شقيقتها العربية التي حلفتها واحتلت عملها في سوريا . اما من حيث
 القدم فالأولى هي السامية

انتشار الآرامية : اللغة الآرامية اليوم تكاد تكون ميتة لولا شراذم قليلة لم تزل
 تنكلم بها في حوز عذبي (حال فيما بين الهرين) وفي تقاع شمالي الموصل وشرقها ،
 وفي حال كردستان ، وقرب بحيرة أرومية^(٥) ، وفي معلولا من أعمال الشام . اما في صالغ

(١) اخبار الايام الاول ١٨ هـ وصموئيل الثاني ٨ : ٦ (٢) اخبار الايام الاول

٦٠١٩ وصموئيل الثاني ١٦ : ١٠ (٣) ص ٧٣ ٨٤ Kraellag, "Aram and Israel"

(٤) الملوك الثاني ١٣ : ٢٢ — ٢٥ (٥) معظم هولاء من الناصرة ولقد حامت الحرب

الاخيرة قاصية على كيانهم فقتل بطريركهم مار شمعون وثقت شملهم

الاحقاب فانها كانت اللغة اليومية لداثر ابناء الجزيرة وسوريا وفلسطين وبعض آسيا الصغرى وبلاد فارس ومصر^(١) وهي اللغة التي نطق بها السيد المسيح واليهود في سوريا ومصر، وكان هؤلاء يكتبونها بالاحرف العبرانية - ومن المقرر ان الارامية كانت لغة العامة في عهد المملكة الاشورية، وكانت الاشورية اللغة الرسمية - ويظهر من وصف كتابة العهد القديم لمزوة سحاريب في بلاد يهوذا ان الموطعين الاشوريين كان يُنظر منهم ان يجيدوا الكلام بالارامية^(٢) - ونجد في «التاريخ القديم» للاستاذ برستد^(٣) صورة نقش يرجع عهده للقرن الثامن قبل المسيح يمثل قائداً آشورياً يلقي كتابه معاً احدى عرواته، وفي يد احد الكتّائين لوح خرفي يكتب عليه بالاحرف السامرية، اما الكتّاب الاخر في يده قلم حبر وهو يكتب به بالارامية على ورق من البودى - وفي النصوص ما يثبت ان في العهد البيزنطي كان الموطعون القادمون الى سوريا يعتمدون على الترجمة للتفاهم مع الاهلين المتكلمين بالارامية^(٤)

ولما اتقوى العصر الساساني الاشوري احتلت اللغة الارامية محل البابلية في السياسة والتجارة واصبحت اللغة الرسمية للوك فارس وآرام وتدمر وغيرها (سماها العرب الرقيم وهي في وادي موسى للشمال العربي من معان) - فالآثار والقوس تدل على ان اللغة الرسمية التي كانت تُداول بها الامم الحية في القرون الاولى قبل الميلاد، من فارس شرقاً الى سوريا غرباً، ومن اشور شمالاً الى فلسطين ومصر جنوباً، اما هي اللغة الارامية - والارامية لم تزل للان لغة الطفوس الكنسية لمعظم مسيحي المشرق الادنى من ساطرة وبيماقية وسريان كاثوليك وموارنة وسريان تنود في ملبار من أعمال الهند وفي الكنيسة الشرفية للآباء اليسوعيين في بيروت وبلدات وكراريس دينية في اللغة الارامية كانت مستعملة قديماً في الكنيسة الاسطاكسية^(٥) - وفي خزانة اوربا من هذه الكتب الطقسية نذكر في ثلثات -

(١) يوسف دودمطران دمشق على السريان - "نحو اللغة السريانية" ص ١٩٣

(٢) (٢) الملوك الثاني ٢٦٠١٨ (٣) ص ١٤٧ "Ancient History" Bressat.

(٤) المجلد الاول ص ١٤ "La Syrie" Lammens.

(٥) الأب شيمو: "خزانة الكتب في دمشق وضواحيها" في المشرق حنة ١٩٠٢

وهي ثلث شيوخ الارامية السريانية قبل اليونانية في الكنيسة الارثوذكسية السورية .
وانما نشأت بصحة ما روتهُ السكاولي يديا الكاثوليكية^(١) في ان اللغة اليونانية كانت اللغة
السائدة في دير مار مارون [على الناصبي] حتى القرن التاسع »

فقبل سنة ١٠٠٠ ق م اقتبس الاراميون احرف الهيكل من اسماهم الفينيقيين ،
والخير والورق من المصريين ، وشروها بواسطة تجارهم من الهند شرقاً الى اطراف آسيا
غرباً . فالارامية هي اول لغة مهمة كتبت باحرف هجاء ، وعنها لا عن الفينيقية راساً نقل
الهنود والفرس والعرب وغيرهم حروفهم . وادغم كتابات ارامية وحدثت لان في ملك من
ملوك حماء زاكرا ، كتبها في القرن الثامن قبل المسيح ، وكتابات غيرها وجدت في
سنجرلي على اطراف سوريا الشمالية يوناني عودها لقرن اشخاص ايضا

ولما صار الامر للفرس بعد الاشوريين والبابليين ، بقيت السيطرة للغة الارامية سبعة
وليات اميا المصري ، وكان حكم تلك الولايات نقوشون على نقودهم باللغة الارامية .
وافقد وجد في مصر كتابات بالارامية^(٢) على ايجادها ماريخ هو السنة اربعة من ملك
ردكيس (٤٨٢ ق م) ، وعبرها كثير^(٣) كتبه المستعمرون اليهود في الاطراف الجنوبية
من بلاد الصعيد . فملوك ماداي وبارس كانوا يحرقون رسائلهم بالارامية ، وهو الامر الذي
جرى عليه الملوك الساسانيون بعدهم

ومن اسفار العهد القديم جزء من دانيال وعزرا ومحمبا مكتوب بالاصل باللغة الارامية
ومع ان الاساط والتدمير بين كانوا من سلالته عربية وكانت اللغة العامة بينهم العربية^(٤)
فان نقوشهم وكتاباتهم جاءت باسمها بالارامية^(٥) ، وما النبطية والتدمرية سوى هجعتين
من لهجات الارامية . ونقوش تدمر يرجع معظمها للقرن الثلاثة الاولى بعد المسيح ، اما
نقوش النبطيين الذين تسطوا سلطتهم من اقصي جزيرة سبأ الى ضواحي دمشق فانها
كتبت بالاكثري في القرن الاول بعد المسيح ، وذلك لان الامباطور طراحت احضت بلادهم

(١) "Catholic Encyclopedia," Maronites.

(٢) Sayce "Assuan Papyri" و Sachau, "Ar. omanische Papyri"

(٣) Quatremere "Nabatéens" ١٢٧ ص

(٤) Lidzbarski, "Nordsemitische Epigraphik"

سنة ١٠٥٠ م وبذلك سقطت دولتهم . وما يؤكد ان العربية ، كانت اللغة المحكية وحوادث كانت عربية مدمومة بين الالفاظ الارامية كلفظة « غير » التي ، على ما يظهر ، لم يعرف الكاتب النبطي ما يراد بها بالارامية فاقطعها على اصلها العربي

والعرب الذين كانوا يجالطون العالم المتقدم بالسياسة والحجارة اصطروا الى معرفة لغة رجال الدول واحل الوضاعة فتعلموا اللغة الارامية وكشفوا بالقلم الارامي لسهولة . وفي قرون الصراية الاولى امتدت اللغة الارامية الى شمالي جزيرة العرب كما تشهد بذلك الكتابات المنقرضة التي وجدت في تلك الانحاء . حتى ان السعدي ، بصرح بعد ذكره اقسام بلاد العرب « ان هذه الجزيرة كلها . . . لسانها واحد سرياني » . وكان يسمي بـ السروجي (٤٥٢ - ٥٢٢ م) وكانت عرب بحر ان المسجيين في شرقي بلاد العرب باللغة السريانية (١)

ولقد عثر احد م في صيان فوس اعمال الصين على حجر ضخم مقوش عليه بالارامية اسماء سبعة وسعين مائتاً ، سطور ياددهوا الى الصين في اواخر القرن التاسع ودرت اسماءهم في ذلك العهد (٢)

وممن القول ان الآثار الكتابية للغة الآرامية هي منتشرة من افاضي الصين شرقاً الى ضفاف الدردنيل غرباً ومن شواطئ النهر الاسود شمالاً الى اطراف الهند وحاول الليل جنوباً ، وهو شأواً لم نلحظه اخرى من اللغات القديمة ، وراى عالم يركب بين اللغات الحديثة ما يماضيها به سوى اللغة الانكليزية . ولا نبالغ اذا قلنا ان اللغة الآرامية تسلمت على الفكر السامي مدة تزيد عن الالف سنة ، اشتدواها من قبل المسيح بحضرة قرون ، وان العقل السامي وجد في الآرامية انحاء تلك المدة اتصال واسطة للتصير عن شواعره وفواعله وساطة الآرامية بين اليونانية والعربية . على ان الارشالية التاريخية التي قامت بها اللغة الآرامية هي انها جعلت حلقة الاتصال بين العقل اليوناني والعقل السامي ، والحسر

(١) « كتاب اتية والاشراف » من ٧٩ ولا منس : « نارسان » في المشرق

سنة ١٩٠٣ م ٧ ٦ (٢) "Cyclopaedia of Islam" Arabia, Arabic Writing

(٣) نجد الزعم وتوجه الكتاب في من ٦٩ Yohannan, "Death of a Nation"

(٤) للقبالة بين انتشار اليونانية والآرامية راجع من ٢٢٠ Renan, "Langues Sémitiques"

الذي اجتازته الفلسفة والعلوم اليونانية قبل دخولها الى حظيرة العربية والعبرانية .
 فارسطوطاليس مثلاً ابو العلامسة واوحدهم ترجمت مؤلفاته اولاً الى السريانية ومنها
 (في ايام الامون) الى العربية ، وبواسطة ابن رشد القرطبي (المتوفى سنة ١١٩٨)
 وحد ارسطوطاليس في الاحيال الوسطى الى جامعات اوربا سبيلآ . واصبح شرح ابن رشد
 له الشرح المعول عليه في العالم العربي . وذلك كانت نصيب غير ارسطوطاليس من
 الحفراعين والرياضيين والاطباء اليونان

ولما اقبل العرب على العلوم وارادوا الاشتغال بها في حلال نهضة القرن الثامن والتاسع
 كان علماء السريان هم الذين اعانهم على ذلك ، واستخرجوا لهم المصنفات اليونانية والسريانية
 وساعدوهم على ترجمتها الى العربية . فالسريان ادن (وبلفظة اخرى « السوربون » الاقدمون)
 هم الذين نقلوا مصاح العلم والتقدم من ايدى يونانية الى ايدى عربية ، والعرب هم الذين املروا
 عقول بني اوربا يوم كانت اوربا في حلام مدلم

واقدم اثر سرياني ذي شأن هو ترجمة التوراة المروعة « بالسيطة » في القرن الثاني
 بعد المسيح في مدينة اديسا التي يسميها العرب الرها والاثراك اورفا ، وهي اول ترجمة
 للتوراة عن لغاتها الاصلية

ومن المترجمين من اليونانية الى السريانية مريحيس الرشمي (المنسوب الى رشمين —
 رأس العين في عراق) الذي ترجم بعض كتب حاييتوس وكان حنين بن ابيحى شيخ
 المترجمين يصفه بقوله : « ثم نقل هذه الكتب في الاسلام موسى بن خالد » . ومنهم
 جورجيس بن خنثشوع السرياني رئيس اطناء مدرسة ومارستان حديسابور ، وطبيب
 الخليفة المنصور . الذي نقل من اليونانية الى العربية كتباً طبية والف في الطب
 بالسريانية . فالكتب التي اعتمد عليها الرازي (المتوفى نحو سنة ٩٢٠) في كتابه الطبي المسمى
 « الكتاب الموكي » ، وابن سينا (المتوفى نحو سنة ١٠٣٧) في تأليفه « القانون » كانت بالاصل
 كتباً يونانية لا مقراط وحاليوس ، ولكنها كانت قد ترجمت قبلاً الى السريانية
 ومن اشهر نقله العلم في العصر العباسي آل حنين من نصاري الحيرة وامهم حنين

(١) ابن ابي أصيبعة . « طبقات الاطباء » مجلد ١ ص ١٨٩ (٢) « طبقات

الاطباء » مجلد ١ ص ١٢٣

بن اسحق^(١)، وآل تَحْيَشُوع، وقسطابر لوقا البطركي من نصارى الشام . وكان لسطا طيباً مفتقاً اللغات اليونانية والسريانية والعربية^(٢)

ومما يستحق الاعتبار ان الالفاظ الاصطلاحية العلمية التي دخلت من اليونانية الى العربية « كخفرايا » و « مصطه » و « دوسطريا » و « اقليم » و « أنبر » انما دخلت عن طريق السريانية لا عن اليونانية رأماً . وشكلو العربية لم يزالوا للآب يلفظونها كما يلفظها السريان لا اليونان . ومن اسماء الاعلام المرفوعة التي يلفظها العرب كما يلفظها السريان لا اليونان افلاطون ، بدلاً من بلاتون ، ومقراطيس ، بدلاً من سكراتيس ، ويوحنا بدلاً من يونس

السريانية: بعد ان اعتنق الآراميون الديانة المسيحية ماؤا الى التلبس باسم « السريان » ، وهو الاسم الذي اطلقه عليهم اليونانيون ، واستنكفوا من استعمال لفظة « آراميون » لما طلق في الاذهان من رائحة الوثنية القديمة في تلك اللعطة . وفي اواخر القرن الخامس انتشرت بين السريان المسيحيين نسليم بطور وكانت يومئذ تتفاسمهم سلطتان ، السلطة الرومانية والسلطة الفارسية ، فاعتنق معظم السريان الشرقيين الخاضعين لدولة فارس العقيدة القسطورية ، واسم السريان المرييون الخاضعون للقسطنطينية الى مذهب البعافية القاثانين بالطبيعة الواحدة . وفي سنة ٤٨٩ سدت مدرسة أوساً ابوابها في وجه القاطرة فأسسوا مدرسة خاصة لهم في نصيب . وبذلك انظر الآراميون الى شطرين واحدت نصيبين بمناصفة حاربتها أوساً التي كانت لذلك المهد اركز اعني الادبي الاول في العالم السامي . وبعد ان كان الفرق بين الفرقين دينياً فقط اصبح يتوالي الاعوام لمعوا ايضاً ، فأطلق اسم « السريانية » على لهجة أوساً وسوريا و « الكلدانية » على الفرع الشرقي القسطوري^(٣) . على ان الفرق بين المذهبين سطحي لا حواري ، وهو مقتصرة على كيفية لفظ بعض الأحرف والحركات وعلى شكل الخط . والكلدانية هي لغة القاطرة والفرع

(١) « طبقات الاطباء » مجلد احم ١٨٤ (٢) من شاء الزيادة فليطلب ابن النديم : « الفهرست » من ٢٤٤ - ٣٠٣ وحرري زيدان : « تاريخ القنصل الاسلامي » جزء ٣ من ١٤٣ - ١٤٨

(٣) المقدمة Nöldeke , Syriac Grammar Trans. Crichton

الشرقي من الآرامية ، والسريانية هي لغة العاقبة والنوع العربي منها . غير ان احزابنا في مقالنا هذا على استعمال السريانية والآرامية مترادفين

وفي القرن السابع للمسيح وهو القرن الذي شرع فيه العرب فتوحاتهم - تمت الآرامية السريانية بعصرها الذهبي وزعت فيها العلوم والفنون . كان ذلك بفضل الذين نفخوا في هاتين المدرستين - مدرسة أدمس ومدرسة نصيبين - ومن اشتهرهم المؤرخ القبطي يعقوب الرهاوي ^(١) واضع علم اعو السرياني

واقعية التي يريد تقريرها من هذا البحث ان اللغة الآرامية السريانية لدى الفتح الاسلامي هي التي كانت سائدة متعلقة على السه اثناء العراق و سوريا و فلسطين ، لا ينافيها في ذلك مازع ، ولا يمارسها معارض ، وكانت قد سقطت فتملأت على اللغات السامية السالفة كالعربية والفينيقية والامورية ، وهي اللغة التي نازعتها العربية نزاعاً شديداً الى ان اقتلعتها وتناصلت مكانها ، وذلك بعد حرب عوان دامت احياناً وقرناً

اللغة العربية

اللغة العربية من أحدث اللغات السامية عهداً ، واصغرهم سناً ^(٢) ، ولكنها من اشد من محافظة على القديم ونشأ بالاصول ، ومن اقواهم عصية وحيوية . فهي بنت السارج باعتبار قدم الاشورية والعبرانية والآرامية . ولكن اهميتها قائمة بميز ذلك ^(٣) . اهمية العربية قائمة اولاً بمحافظتها على الاصول السامية القديمة من مثل علامات الاعراب ، والحركات ، والتبوين ، وال التعريف ، و بعض اوزان الافعال ، الى غير ذلك مما فقد معظمه من سائر اللغات السامية احوات العربية ولم يبق منه سوى اثار نصيب معرفة ارجاعها الى اصولها لولا العربية . وثانياً شدة حيويتها وقوة عزمها وكثرة عصيتها التي جعلتها تمكست من العادة على السريانية واليونانية والفارسية والقبطية وغيرها بحيث اصبحت لغة سكان آسيا العربية وامريقية الشمالية من حال طور من شمالاً الى باب المندب جنوباً

(١) السمعاني : « المكتبة الشرقية » مجلد ١ ص ٤٦٨

(٢) يعتبر الاسناد صومط اللغة العربية " الاخت الكبرى للعبرانية والآرامية ان لم تكن أمهما " الهلال عند ايار سنة ١٩٢١

(٣) والذي نعينه بالعربية هنا لغة الحجاز والاسلام لاسباباً وحمير

ومن حليج فارس شرقاً الى الانلا تيكى غرباً . وهي اليوم اللغة اليومية لقوم لا يقل عددهم عن خمسين مليون نفس . وهي اللغة الدينية المقدسة للعام الاسلامي بأكمله وعدده ياهر المئتين والخمسين مليوناً . والى لاف كلها تشير الى ان العربية ستحافظ على كيانها احياناً طويلاً ، وستدوم مادام الاسلام

ومن ميزات العربية التي تروق بها سائر اللغات عنها المظني ، وكثرة مرادفاتها ، ومقدرتها على تصوير شعائر النفس والتعبير عن الخيالات وهي في ذلك لا تجارى ولا تُنارى الاحرف العربية . ذكرنا ان " من اتصال الآرامية على العربية انها كانت الوسيطة بينها وبين العلوم اليونانية من فلسفة وطب ورياضيات . وزيد الآن ان العربية مدينة للآرامية بحفظها . فالاحرف العربية مأخوذة عن الاحرف الآرامية السريانية ، والخط الآرامي هو شقيق الخط الفينيقي - اول خط كتبت به احرف المعاني . وعن الخط الآرامي (لا الفينيقي رأساً) نقل الخط السكريتي والهندي والعربي

اول كاتب عربي أشار الى اصل الخط العربي اعما هو اللادري الثوري سنة ٨٩٢ ب . م . فاللاذري " يذكر استادا على رواية والده هشام الكلي (هشام توفي سنة ٨١٩ او ٨٢٠ على قول ابن خلكان) ان دخول الخط العربي كان من الحيرة والأخبار . وان العرب " وضعوا الخط " وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية " . ولقد تبع اللاذري في رأيه هذا ابن خلدون في مقدمته الفصل الثلاثين وابن خلكان في سيرة ابن الرواب اما ابن النديم " فانه يروي عن هشام الكلي ان اول من وضع الخط العربي " ابو حاد وهو از وحاطي الخ وهؤلاء ملوك مدائن " . واذا حملنا الالف من هاته الالفاظ يبقى معنا احرف الهجاء على ترتيبها الاصلي الآرامي والعبري . اما مدائن فهي بلاد الاساطير . وعليه في رواية ابن النديم نذكر او صدى من حقيقة تاريخية وهي ان احرف الهجاء العربية مأخوذة عن الآرامية وبالاحص عن الهجاء النبطية . والذي يقول به العلماء الحديثون ان الخط الكوفي مأخوذ عن الاسطر بجيلي ، والخط السجعي عن البجلي ، وكلا الاسطر بجيلي والنبطي قلم سرياني

الكتابات العربية : اقدم أثر العربية عثر عليه العلماء للآن هو كتابة وجدت في زبد

(١) "فتوح البلدان" طعة لندن ص ٤٧١

(٢) "الفهرست" طبعة ليبسك ص ٤٠ . قابل الفلقلندي : "صحيح الاعشى" جزء ٣ ص ١٣

لجنوب الشرقي من حلب وأخرى في حرّان جنوبي دمشق من أعمال الحما في حوران، الأولى
 مثلثة اللغات عريّة وسريانية يونانية يروني عهداً لسنة ٥١٢ م، والثانية بالعربية
 واليونانية تاريخها ٥٦٨ م^(١)، وعليه فتكون أقدم كتابة يمكن أن نعتبرها تماماً وتبينها
 بأنها عربية بحثة لم تُكتب قبل ولادة نبي الإسلام بأكثر من نصف قرن وبعض عقد مئة
 أما الكتابات النمودية النجاشية^(٢) التي اكتشفت في شمالي الحجاز ومجد والكتابات
 الصّويرة (النسوبة لثول الصفاء إلى الشرق الحواري من دمشق) فإريها يروني للقرون
 الأولى بعد المسيح^(٣) ولكنها بالهد يجوز لنا أن نعتبرها عريّة وهي تُعرف في اصطلاح
 علماء المشرقيات بـ *Pre-Arabic* أي الكتابات السابقة للعربية

القضاء على اليونانية : بعد دحر عساكر البيزنطيين في واقعة اليرموك سنة ٦٣٦
 م استولى العرب المسلمون على سوريا بما فيها فلسطين ولبنان، فوجدوا اليونانية اللغة
 الرسمية للأباد فتركوها على حالها، وبقيت اللغة العادية لمة الدواوين في كل عهد الخلفاء
 الراشدين وفي بداية العهد الأموي حتى أيام عبد الملك بن مروان (٦٨٥—٧٥٥).
 وهناك أمثلة البلاذري^(٤) في هذا الصدد : "ولم يرل ديوان الشام بالرومية حتى ولي عبد الملك
 بن مروان، فلما كانت سنة ٨١ أمر بقله . . . وأمر سليمان بن سعد بقل
 الديوان . فأله أن يُبينة محراج الأردن سنة، فعمل ذلك ولأه الأردن، فلم تنقصر
 السنة حتى فرغ من بقله وأتى به عبد الملك فدمها بسرحون كاتبه، فمر من ذلك عليه،
 فعمه وخرج من عدو كنيته، فلقبه قوم من كتاب الزوم فقال اطلبوا المعيشة من غير
 هذه الصاعقة فقد قطعنا الله عنكم"

وحسب رواية أبي الفرج ابن العريّ فالوليد بن عبد الملك (٧٥٥—٧١٥) هو الذي
 أبدل اليونانية بالعربية في سجلات الحكومة، فإن ابن العريّ ذكر في تاريخه^(٥) تحت
 عنوان الوليد بن عبد الملك "ومنع كتاب الصاري من أن يكتبوا الدفاتر بالرومية، لكن
 بالعربية". والذي يلوح لنا من باب التوفيق بين الروايتين أن عملية النقل، وهي مما لا يتم

(١) *Cyclopaedia of Islam*, Arabic Arabic Writing (١)

(٢) أطلق عليها لقب الحياة لورود اسم قبيلة حيان مكرراً فيها

(٣) *Cyclopaedia Britannica*, Semitic Languages, Arabic (٣)

(٤) "فتوح البلدان" ص ١٩٣ (٥) "مختصر الدول" ص ١٩٥

دعة واحدة بل يقتضي له الوقت الطويل ، شرع بها عند الملك وأمرها امه الوليد . والذي
يهتمنا ان نذكره من كل ذلك ان العربية لم تنفك من القضاء على اليونانية في سوريا حتى
اواخر القرن الثامن وأواخر القرن الاول بعد الهجرة ، والحكومة العربية في دمشق
كانت اليونانية لغتها الرسمية حتى ذلك العهد

العراك بين العربية والسريانية : جاء معنا سابقاً ان السريانية كانت لغة ابناء
سوريا لدى الفتح الاسلامي . ولا شك ان بعض ابناء المدن والسواحل كان يتكلم
اليونانية ، وبعض سكان الضواحي الشرقية والحسوية من البلاد المتاخمة للصغراء والبلاد
العربية كانت تتكلم اللغة العربية ، ومن هؤلاء بنو غسان الذين اقامهم الروم عمالاً على
مشارب الشام . ولكن معظم الاهل وبالأخص الساسيين كانوا ينطقون بالسريانية وهذه
دافعت عن كيانها دفاعاً مجيداً وتناضت عن موقفها تضالاً طويلاً ، ولكنها اخيراً غلبت
على امرها وقامت شقيقتها الصغرى مقامها

الناس في كل عصر ومكان ، على ما يظهر ، يهون عليهم ان يبدلوا صفتهم السياسية
اكثر من ان يبدلوا صفتهم اللغوية ، وان يعتبروا دولتهم قبل ان يعتبروا لغتهم . فغلبة
البيط العربي على سوريا كانت اسرع وأهون من غلبة الفارسي عليها . هذه تمت في
خلال ثلاث سنوات ، وتلك استغرقت احياناً وغرواً

**والذي يلوح لنا ان البلاد السورية بقيت سريانية لغتها ودينها ولغويتها في كل
العصر الراشدي ومعظم العصر الاموي ، وانها لم تستعرب الا تدريجاً في اواخر الدولة
الاموية ولم يتم تعريبها وإسلامها حتى العصر العباسي**

وما يستحق الاعتبار ان غلبة العرب المسلمين على بلاد فارس والاندلس لم يكن من
نتائجها إحلال العربية محل الفارسية في الواحدة والعربية في الاخرى ، بخلاف غلبة سوريا
حيث العربية اخلت السريانية تماماً . وما ذلك الا لأن العربية والسريانية شقيقتان
فالانتقال من الواحدة الى الاخرى هين نوعاً . واهل البلاد السورية كانوا البلاد العربية
ساميون لم عقلية واحدة

الانتقال التدريجي : قلنا انه يظهر الاسلام واستيلاء العرب على سواحل الشام والداخلية
اخذت العربية تنتشر شيئاً فشيئاً في انحاء سوريا ولبنان وفلسطين وما زالت في عود وانتشار
حتى غلبت شقيقتها الكبرى السريانية ، لكن هذه لم تنوار بالتمام الا تدريجاً . وعليه فيصعب

تعيين وقت محدود يجوز اعتباره الحد الفاصل بين المعتبرين إلا أنه يجوز القول أن فوز
السريانية في المدن والسواحل تم في خلال القرن العاشر والحادي عشر، وفي الداخلية
بعد ذلك بقرنين، أما في لسان فتأخر حتى أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر
ولما كانت اللغة ندر بجملة طيفه كانت يهود عليها، من ملاحظات المؤرخين
وشهادات السياح، نشأ الخطوط التي سارت عليها سنة التعبير من الحالة الأولى التي
كانت فيها السريانية سائدة، إلى الثانية التي كانت فيها العربية مقاسما للبادية وتناظرها
الطعان، إلى الثالثة التي أصبحت فيها العربية هي المتغلبة الغالبة.

فانصتقوا والكتاب في اللغة السريانية في سوريا من القرن السادس فصاعداً م
كثيرون، منهم يوحنا بن اثنون القيسري ويزكريا المنطلي وثاوميل الزهاوي ويوحنا
أسقف بصرى في حوران، وأول كاتب اكابر يكي كتب بالعربية في سوريا لم يظهر حتى
القرن التاسع في شخص ثاودورس أبي فرقة.

وفي أوائل القرن الحادي عشر رى صموئيل بن حنني اليهودي رئيس مدرسة سورا^(١)
بعض اليهود على المعاصرة على لغتهم العبرانية وتدرجها على اتحاد السوريين مثلاً « فانهم لم
لم يهملوا لغتهم بل ما راوا في كتبهم بها »^(٢) وربما كان صموئيل هذا مدفوعاً بمائل العبرة
على لغته أكثر من عامل تقرير الحقائق لأنها ترى في بداية القرن سنة كانتا كابلان
بارشاياسقف نصيبين يصح تاليفه المقصود منها السجيين بكنائس المشرق السريانية والعربية
في عمودين متوازيين^(٣) وحري على ذلك كثيرون غيره فيما بعد ذلك وفي مقدمتهم ابن
العربي (١٢٢٦ - ١٢٨٦) المحسوب من اكبر علماء الذين انحسرت سوريا في كل تاريخها
وامير الكتبة العامة على ما سماه السعدي . فان العربي هذا وضع تاريخه المشهور
بالسريانية أولاً ثم نقله للعربية وهو الموسوم « مختصر الدول »^(٤) . وعندئذ أخذت المحاجم
السريانية العربية بالظهور مما يدل على أعمال القوم على اقتباس اللغتين . ويظهر من عبارة

(١) في بابل، راجع Jewish Cyclopaedia Babylonica

(٢) الطبعة اراحة ص ٢٦٧ نقل عن Renan, "Histoire des Langues Semitiques"

ص ١٦٧ « Notice sur Aboulwaïd Merwan Ibn Djanah »

(٣) Cyclopaedia Britannica, Semitic Languages, Syriac (٤) راجع ترجمة

المؤلف التي وضعها الصالحاني في مقدمة هذا التاريخ

واردة في تاريخ ابن العربي^(١) وفي قوله "ان الالهة الفاطمية السريانية هي" لمة اهل دمشق وحمل لسان وباقي الشام الداخلة "ان المذاهب كان يعتبر السريانية في عصره ، وهو القرن الثالث عشر ، لمة بلاد الشام . اما حاله قري^(٢) وبروكارد^(٣) فيلوح لنا من عبارات في كتاباتهما انهما يعتبران العربية في القرن الثالث عشر لمة الطوائف المسيحية في سوريا وبصرى خان بان معظم المسيحيين كان يكتب العربية باحرف سريانية

وبعد ان دالت مدرسة ففسرين في شمالي سوريا الى التقهر والاعطاط لم تلقى العربية من مقاومة عنيفة لا سيما وان السريانية لم تكن من ورائها يومئذ دولة تدعمها ولا وحدة سياسية تؤيدها حتى ولا وحدة دينية تصدها ، لان انتشار الدع "المحطقات" بين السوريين السريان مرّتهم طوائف واحرانا . عندئذ احدث الاساليب العربية من امثال مقامات الحريري استتبهى عقول اساء سوريا بسمها ومحرمياتها واحذ الكتبة بشارطون فيها اذا كانت السريانية تفضل العربية او العربية السريانية . وهذا ما حمل عند يشوع الصوابي مطران نصيب (التولي سنة ١٣١٨) واكرت عالم سرياني في عصره على ان يظم قصيدته السريانية "مردسا دعدن" ويحدو فيها جدو شعراء العرب في الحساس والتوشيح ولزوم ما لا يلزم وغير ذلك من فنون مدحهم الماعظي . والسبب في ذلك ما حكاه بنفسه "ان يري العرب عنى السريانية ، وكاتبوا يزعمون انها لمة فقيرة قاصرة عن التعبير عن المقاصد الشعرية . وان ما في كتبهم ولا سيما مقامات الحريري من الفنون الدنيبة لا يتعدى على السريان الاثنيان بشل^(٤)"

ولقد ذكر عمرو بن متى العالم النسطوري الذي اشتهر سنة ١٣٤٠ عن عبد يشوع هذا انه كتب رسالة عربية في الثلاث "التوحيد والحمد" . وعمرو بن متى نفسه ألف كتابا عربيا سماه "المجلد (١-ج) ذكر فيه سلسلة "الحكمة النسطورية" واسمها في يذكر

(١) "مختصر الدول" من ١٨

(٢) أ. ب. عكا كتب تاريخه سنة ١٢١٨ "Histoires d'Heracles" Jacques de Vitry

(٣) Brocard "Ges. d. Del per Francos" Bonkurs نقد لا عن

"Langues Sémitiques" Penon من ٢٦٧ سنة ١٨٨٩

(٤) راجع المقدمة التي وضعها القس حبرائيل القرداحي لدون عبد يشوع الصوابي

طبعة اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٩ (٥) الدس : "تاريخ سوريا" مجلد ٦ من ٤٥٣

في ترجمة نوح القفواوي انه ولد سنة ١٤٥١ في قفوا (بين اهدن وبشري وهي اليوم حراة) وكان اسقفا على حمص . وفي سنة ١٤٩٤ اسم بطريركا على البقاعية ومن تأليفه كتاب قصائد بالسريانية وثلاث مقالات بالمرية بسببها السعاني له

وفي اوائل القرن الرابع عشر (سنة ١٣٢٢) زار ماندفيل^(١) الاراضي المقدسة ويؤخذ من عبارة واردة في وصف سياحه^(٢) انه وجد السوريين يتكلمون العربية ، والمقصود بالسوريين هنا ولا شك سكان المدن والسواحل . وهاك عبارته بحرفها : "There be others

that be clept Syriaens ... and in their language they use letters of Sarcens . "

ليصبح لنا بالاحمال ان قول انه في اوائل القرن الرابع عشر كانت العربية قد خفقت

السريانية في المدن والسهول

التنازع والمجادل في لبنان . اما في لبنان فان الحل بالنسبة لوعودة مالكه

وافرادها ، ولصعوبة مواصلة ، ولكون اسائه لم يطقوا عبر السريانية — بحلاف ابناء المدن الذين تكلموا بها وباليونانية — ولم يعتنوا بالاسلامية بل حافظوا على معتقدهم وعلى نوع من الحكم الذاتي والاستقلال القوي في اثناء سيادة الدول الاسلامية سنة دمشق وبغداد والقاهرة ، تمسك بالسريانية بكل قواه واستمرت تلك اللغة في شماله الى امد حديث ، حتى بعد ان غمت العربية المدن والسهول واكتنفت الجبل من كل جهاته في القسم الشمالي منه بتشكلم السريانية كما ما هو حرية في عمر او واحة في صحراء

ويداعي حلول قاتل عربية - كمن ودوح وشهاب - في لسان الحواري في ايام الصليبيين والمالبيك غمت العربية تلك اعمات في اواسط القرون الوسطى . اما في شماله كما في بشري وحمرور وزعور فالسريانية استمرت لغة الاهل اليومية حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر والسريانية لم تزل — ليوما هذا اللغة الدينية للوارثة يكتبون بها طقوسهم وصدايقهم ، حتى اذا عمدوا الى العربية فانهم يكتبونها بالحرف سريانية ، وهو ما يستعمله الكركشوني^(٣)

(١) وربما كان هذا الاسم — تعارفا او موصوفاً — ولكن السباحات لا شك قام بها احد

ورما اكثر من واحد (٢) "Travels of Sir John Mandeville", Macmillan, 1900

(٣) اشتقاق هذه اللفظة مجهول . ويطن بعضهم انه يرجع الى « كرشوتا » وبالعربية « الكرش » للدلالة على الشيء الناطي الخبيث

ومن يراجع تواريخ الطائفة المارونية يركب شيئاً كثيراً من الاشارات الى شيوع السريانية واستعمالها بين ظهرانيهم في الاحياء الوسطى واوائل الاحياء الحديثة. فالدويهي^(١) يذكر تحت احداث سنة ١٣٦٦ اسم رجل يقال له يعقوب كاتب من حملة الاساقفة الذين قص عليهم نائب السلطنة بدمشق ثم فر واستتر وكتب في استناده «الانجيل بالسرياني والكروشوي» . وهذا الانجيل كان باقياً الى ايام الدويهي في دير قنوبين.

ولم يزل للآل كتابات سرانية على كثير من الادوار ومنها دير البعده ببيفوق وهو الرابع من ادوار الموارنة من حيث القدم . في هذا الدير نقش بالسريانية منبى^٢ بتحديد الدير ومشير الى بنائه القدير وتكريمه «بسم الله الحي الدائم» . في سنة ١٧٤٦ حدث بناء هذا الهيكل اخوان كاهن امون وميخ . وكان قد اشاء اربعة بطاركة بطرس وارميا ويعقوب ويوحنا سنة ١١٣٩^(٣).

وفي منتصف القرن الخامس عشر (١٤٥٠) اُلحق الاح فر عريمون^(٤) المتبكي بالرسالة الفرديسسكابة في حل لسان واقتضاء الامراب بدر من القمه السريانية فنصلح منها ومن غيرها من اللغات الشرقية وبني محور مع فرن في لبنان معلماً ومشرراً ومن الكتبة المارة بين الذي يهتدي هذا البحث امرم المطران حوارييل النعدي المعروف بابن القلاعي فان هذا الرجل ولد في لحد من اعمال لبنان في اواسط القرن الخامس عشر وتوفي اسقفاً على قبرس سنة ١٥١٦ . ومن آثاره قصائد كثيرة لعتها ركيكة وعليها مسحة اللهجة السريانية وبها وسر لمة الفران بون شامع . ولقد روى الدويهي ان حوارييل كتب ٤٦٥ مقالة أو «ميراً» . وورد منها مقاطيع^(٥) في اشبه بالارجال منها بالقصائد.

وبما يدل على استمرار السريانية في لبنان الشمالي حتى القرن السابع عشر ما ذكره

(١) «تاريخ الطائفة المارونية» ص ١٢٩ (٢) الدبس: «تاريخ سوريا» مجلد ٦ من ١٩٨٠ . قابل الدويهي ص ١١٣ - ١١٤ (٣) لامس «الايخ فرا عريمون ولبنان» في المشرق سنة ١٨٩٨ ص ١٥ (٤) الدويهي ص ٣٣٩ و ٣٥٤ و ٣٦٨ الخ

جرجس الكرستيني (سنة الى كرم سده) الماروني الذي وضع قاموساً سريانياً عربياً سنة ١٦١١ وقال في مقدمته انه استعان على جمع الالفاظ السريانية بأهل البلاد المجاورة واحصاها حصرو

وفي سنة ١٦٣٢ رار شاتيل^(١) سور يا فوجد اهل حصرون (Aeron) لم يزالوا يتكلمون اللغة السريانية. والعرب ان حصرون حافظت على سريانيتها بعد ان كانت اعدن يجوارها قد فقدتها. يدلنا على ذلك ان حبرائيل الصهبوي العالم الشهير، ترحان لويس الثالث عشر وأحد مترجمي التوراة المتعددة اللغات (Polignot) كان دائماً ينظر الى العربية كلغة الوطنية. وحبرائيل عدا ولد في اعدن سنة ١٥٧٧

وبعد رحلة شاتيل يصح سنوات رار الاب يوحنا وحر^(٢) البلاد المقدسة وذكر في عرس وصف رحلته «ان له الموارنة هي العربية. ولكن السريانية لم تزل اللغة الشائعة في ثلاث قرى يجوار الارز»

وبما ذكره متوكوف^(٣) الذي ساج في البلاد في اوامط الغرب السابع عشر ان الموارنة «يقومون طقوسهم وقدايسهم بالمد الكلدانية وهي لغتهم الاحلية. ولكنهم يدعي علائقهم مع جيرانهم اصحت لغتهم فاسدة وأسمى خطهم من منكمي العربية (Morosque) وشهد العلامة مرشح المروبي موسطوس بن برون الياباني في كتابه اللاتيني الموسوم بما تعريفة «صلاح الايمان» ان بشرتي وحصرون وبعض القرى المجاورة كان سكانها يتكلمون السريانية في عاثة القرن السابع عشر

نقرر معاً من إشارات المؤرخين وشهادات السياح المدروجة اعلاه ان السريانية كانت لم تزل حية في شمالي لبنان في اواخر القرن السابع عشر. فالتابع التنقيب في الرحلات والمؤلفات لرى ماداً كان شأنها بعد ذلك

اول ما نلحظ نعرفه مر في سوريا في القرن الثامن عشر هو بوكك الاسكليزي. زار

(١) M. Marchely, « La Vie de Chastell » Paris 1656 ص ٦٠

(٢) P. Eugène Roger, « La Terre Sainte », Paris 1664 ص ٤٩٧

(٣) Stochove, « Voyage de l'Italie et du Liban » Boon 1670 ص ٢٠٦-٢٠٥

(٤) Nalroni, « Evoplia fidei Catholicae » Rome, 1694 ص ٨٩

يؤكد البلاد سنة ١٧٣٧ - ١٧٣٨ وذكر في وصف رحلته^(١) « ان رهبان الموارنة يملكون صلوات الليل بالسريانية دون ان يفهموها ، ويكتون لنهم الوطنية وهي العربية بالحرف سريانية »

وعقب يؤكد الرحالة الدنماركي نيسور الذي يفيدنا انه سمع بوجود بعض قرى في الجبل لم تزل محافظة على سريانياتها وما ورد في رحلة يسور^(٢) قوله : « حقا ان السائح لا يسمع في سوريا وفلسطين سوى العربية محكية ، ولكنه لا يجوز اعتبار السريانية لغة ممتدة لانني سمعت في دمشق انه لم ير في ولاية باشا تلك الحكومة بعض القرى لا يتكلم اناسها سوى السريانية »

اما الكونت قلبي الافرنسي الذي كان في سوريا ومصر سنة ١٧٨٣ - ١٧٨٥ فإنه ينكر على نيسور صحة ما اتصل به مدعى « انه سأل كثيرين من رجال الدين العرب عن احوال البلاد ولم يذكر له احد شيئا عن السريانية فيجوز اذاً اعتبارها لغة ممتدة^(٣) » . وكذلك ريتان^(٤) بسبب لبس « عدم التدقيق » لانه قال بوجود السريانية في بعض قرى لسان كلغة محكية . فالظاهر ان قلبي وريتان لم يروا الاماكن التي عاها يؤكد لتحقا صدق روايته بل اكتفيا بشهادة السامع . على ان قلبي لم يستقر السريانية في معلولا الى ايامه وفي اواخر القرن الثامن عشر (١٧٩٢ - ١٧٩٨) زار سوريا صالح انكليزي يدعى برون . واليك فقرة مما ورد في كتابه بهذا الشأن^(٥) « [بعد ان مرنا من بيروت فاصدين بعلبك] وصلنا الى مرفة (Marra) وهي بلدة صغيرة الى شمالي الطريق . ومن الامور التي تستحق الاعتبار ان في هذه البلدة وفي معلولا فقط لم تزل السريانية لان لغة حية يتناقلها السون عن الآباء بدون استعمال الكتب . ولقد خلطت مكاريين قداما يؤثران القحدث بالسريانية على العربية التي يفهمونها والتي تخاف السريانية في وضعيتها »

(١) Richard Pococke, "A Description of the East," London, 1745 ص ٩٣

(٢) Carsten Niebuhr, "Description de l'Arabie," Copenhagen, 1773 ص ٨١

(٣) C.F. Volney, "Voyage en Syrie et en Egypte", Paris, 1800 ص ٣٣١ - ٣٣٢

(٤) Renan, "Langues Sémitiques" ص ٢٨٨

(٥) W.G. Browne, "Travels in Africa Egypt and Syria," London, 1799

وأخر ما نرى أشار إلى وجود السريانية ككلمة محكية في لبنان الشامي هو الرحالة الانكليزي
بركهارت الذي زار البلاد سنة ١٨١٠ . وهاك ما ذكره في هذا الصدد (١) : « على بعد
ثلاث ساعات من قنوبير في دير قزحيا الواقع بجوار بلدة اهدن يوجد مطبعة لطبع كتب
العبارات بالسريانية . وهذه اللغة لم يزل عدد كثير من الموازية يعرفها ويتكلم بها . وفي
هذه الجهات معظم القوم يكتبون العربية بالحرف سريانية . وفي الكنيسة ايكاس معلقة
فيها يزور القر مكتوب عليها اسماء اصحابها بالحرف سريانية ومخطوط مختلفة »

فاذا صححت رواية بركهارت فتكون السريانية قد حافظت على كيانها في اعالي لبنان
حتى بداية القرن التاسع عشر ، وتكون بعض النشاز المعاصرين لنا في سينما الحاضر
يعرفون حداث وحدوداً لم كانوا يتكلمون بالسريانية

معلولاً : على ان السريانية للان لم تمت تماماً . فالى الشمال الشرقي من دمشق لم يزل
اليوم ثلاث قرى تتكلم السريانية وهي معلولا ويحضر وحمددين . ولقد زورنا الاولى في
الاسبوع الفائت فاستلقت انظارنا اولاً الحصن الحريري الذي عشتت به هذه البلدة في
قلب شبه عظيم هو قمة سلسلة من الصخور الشاهقة تكشف الجبل القائمة عليه البلدة كوجبة
وتكون على مسافة اميال سوراً مبعداً لا يمكن عبوره الا من ثرات ثلاث . فادر كنا لاول
لحظة ان موقع البلدة الجغرافي هو الذي سهل عليها الاحتفاظ بلفتها وعدم الاختلاط عا
بمحاورها . تركنا السيارة في عين التينة ومشيئاً صعداً نحواً من ميلين ، والبلدة قبالتنا . ولدى
اقتربنا اليها رأينا امرأتين حائرتين الموبيا وعلى راس كلتيهما حزمة كبيرة من الخشيش
نحفظنا السير علنا نلتقط بعض ما كانتا تحكيان به واداء به السريانية . حينما بالمرية تجاهنا
الجواب لمحة عرية مصوطة « نهاركم ابيض » . ولدى البحث معهما ومع غيرهما من ابنا
البلدة - الذين احاطوا بنا في ساحة البلدة كالسوار - ، ورجالاً كباراً وصغاراً - تبين ان
الاهلين مزدوجي اللغات يتكلمون السريانية فيما بينهم وفي البيوت والريية مع الغرب ،
وهم يتقنون اللسانين . اما الاولاد فمعظمهم لا يفهمون العربية الا الذين منهم بلارمون
مدرسة البلدة حيث تعلم العربية فقط ولا مكان في لائحة دروسها للسريانية . وقد سألنا
بالمرية انة عمرها عشر سنوات عن اسمها فلم تجر جواباً واجابت والبتها « ما تعرف

(١) John Lewis Burckhardt, "Travels in Syria and the Holy Land." London 1822

عربي ثوب « . اما عدد سكان البلدة فيناهر الالف واكثر من السريان الكاثوليك
و بعضهم مسلمون

ومن المعلوم ان السريانية التي يتكلمها اسماء هذه البلدة مكسرة محرقة بتفعلها كثير من
الانطاط العربية . ولكنهما من حيث الاصل هي هي السريانية القديمة التي كان يتكلمها اسماء البلاد
قبل الفتح الاسلامي وبما بعده الى ان تمت الغلبة العربية ، فقيمت كل بيت في الحيوان المنحصر
في صخر على جبل ليذكر الزائر في بصره يوم كان الصخر ترابا مائعا في فاع الجار . وما يؤكد
انه لا يمضي جبل او حيلان حتى يتطوي حذر السريانية في معلولا وفي البلدتين المجاورتين
لها ويصبح سببا منسيا . وسأني يوم يسأل فيه اسماء معلولا والديهم عما اذا كان صحيحا
ما يسمعون من ان اجدادهم كانوا يتكلمون السريانية . وما في ذلك عجب بل العجب كل
العجب في كيف اعتمدت هذه البلدة بلعتها السريانية اجيالا وقرونا بعد ان اصبحت العربية
لغة البلاد باسمها

آثار السريانية ودواثرها

في اللغة العربية

لغة كالسريانية تقدمت اللغة العربية في سوريا ولبان وفلسطين ، واستقرت في لبنان أجيالاً وقرواً بعد أن كانت العربية قد اكتسفت من جميع جهات ، وحافظت على كيانها في اعاليه الشمالية حتى حافة القرن السابع عشر ، لا بد أن تكون قد تركت آثاراً يثيرة ودوائر عديدة صريحة في اللغة العربية إجمالاً وفي لهجة أبناء لبنان خصوصاً . ذلك هو الواقع تماماً . فمن درس اللغة العربية واللهجة السورية اللسانية درساً يالوجياً لم يأت يري مفاعيل السريانية واضحة موفورة . وهو ما يريد تبينه فيما تبقى من هذا الدرس

أهمية درس اللهجات . للهجات العربية أهمية عظمى لا تقاس بالمائة القليلة التي يتعمدها رجال البحث والعلم . فقد عهده غير سيد لم يكن من أحقر يعتبر درس اللهجات العامة جذراً هامتها ، والآل قل من تفرع لدرسها ووقف حياته لمعرفة نسبتها بعضها لبعض وللعربية المعنى وعلاقتها غيرها من اللهجات السامية وغير السامية التي لامستها وأثرت بها . وذلك امر جنسي الماء الطويل والحد الدقيق . من العربية المحكية لهجة عراقية بادية فيها آثار التركية والفارسية ، ولهجة عربية تختلف باختلاف الامصار في جزيرة العرب ، ولهجة مصرية حاملة دوارس القبطية القديمة ، ولهجة مغربية هي وارثة اللهات البربرية الحامية التي كانت منتشرة في اريقية الشمالية قبل الفتح الاسلامي ، ولهجة سورية تختلف بالقايا السريانية والدواثر الآرامية فيها . واللهجة السورية هذه تختلف باختلاف الاقاليم الشامية ، وفي الاقليم الواحد باختلاف القرى والصباع حتى انك تری في لبنان لكل بلدة عنه ، ولكل قوم « سولت »^(١) بها بمرهون وبتدرون والذي يجعل لهذه اللهجات أهمية خصوصية انها كلها حية نامية تتغير من جيل الى جيل ومنها تملأ عطفه العامة وطرق تفكيرهم . ولا عبرة في الرأي الشائع ان اللهجات

العربية مرجعها واحد هو اللغة العربية العاصمية التي زانت عنها وانما باسمها عبارة من اللغة العاصمية القديمة مسوخة بحرفة . والحقيقة هي ان بعضها يرجع الى لغات عربية مختلفة في بلاد العرب نفسها . ولقد اتصل في مؤخر ان عالمين المانيين تمكنا في اثناء الحرب من درس لغات بلاد الحليل ووضع اطلس لمؤي جبرائي محاولين ارجاع التباين في اللهجات المحكية اليوم للتباين في اصول القائل العربية التي تحدّر سكان الحليل منها . ولقد حفظ لنا ياقوت " استناداً على الاصمعي " قصة رجل من العرب دخل على ملك من ملوك حمير وهو على سطح له مشرق فقال له الملك " انت " موثب وتكسر وعنى الملك بقوله " ثب " أقعد وهي لغة حمير . ومن هذه النكته وعبرها يشين ان بلاد العرب لم يكن فيها لغة عربية واحدة بل لغات متعددة

/ تأثير السريانية في لغة لبنان : لئلا ان اللهجة الشامية تمتاز عن سائر اللهجات العربية بطهور مقاعيل اللغة السريانية فيها ، وبوضوح آثار تلك اللغة ، ووعور دواثرها الناقية على السة العامة في سوريا ولبنان ، ولا سيما في اعالي لسان النهابي وفي الضواحي الشرقية من دمشق حيث لم يزل على كلام الاهلين مسحة من اللهجة الارامية السريانية وافية من معردياتها . ولقد حاولنا جمع شتات تلك الغابا ولم نشعث دوارسها — على صعوبة ذلك — ثم نطرحها ونسقيها وحصرها في ابواب محدودة . مع ما في ذلك من المشقة والتمقيد . ولم ر فيها اطلعنا على هذه الشأن ما نهتدي به سوى كتاب حديث فيم وصمة مواطننا الخوري بختايل دعالي " استناد العربية في مدرسه بوردو وبال عليه حاضرة كبيرة وستابع فيما يلي آثار السريانية (١) في بحر العربية (٢) في صرهما (٣) في التلفظ بكتانها (٤) في المفردات المستعارة

١ الآثار النحوية

ليست هذه الآثار النحوية بذات الشأن . وسكتفي بالاماع الى اهمها : —

(١) من القواعد النحوية اعتمدت في اللغة العربية ان العمل اذا تقدم فاعله لا يطاقه

(١) " مجمع البلدان " مادة ضمائر

(٢) Michel Feghali, " Etude sur les Emprunts Syriaques dans les Parlers

Arabes du Liban, " Paris, 1918

في الجمع بل بقي على افراده ، بخلاف القاعدة السريانية التي تقضي بالمطابقة من حيث الافراد والجمع وتغيير استناد الفعل الى فاعلين مصر وظاهر مفعول - ولما كان الفعل في "الدارج" يطابق الفاعل من حيث الجمع حاز لنا اعتبار ذلك من مفاعيل السريانية .

• فيقال في العامة «إحزو الرّحال» «أشترزو احوثك البس» «كلوي المعلن» .
ولقد اشتهر النحاة العرب الاقدمون الى هذا التأخير الناتج عن احتكاك العربية بالسريانية في الحيرة واعالي الحصار وعصا عليه بقولهم «لغة اكلوي الراعي»

(٢) في السريانية يتعدى الفعل المتعدي الى مفعوله واسطة حروف الجر - اللام - وعليه يُقال في «الدارج» «شعته للصبي» «ضررتو لحيك» «صمعتو للولد» . وفي هذه الامثلة إضمار فعل ذكر الاسم الواقع معمولاً - لان الواو في الامثلة هي ضمير الغائب المتقدم على المفعول - وهو ايضاً من خصائص السريانية وعمالا لا تجزئه قواعد العربية

(٣) اذا اردنا في العربية رد الفعل الى فاعله «reflexive» بقى بـ «نفس» مضافة الى الصمير يتقدمها اللام من حروف الجر ، اما في السريانية فالصمير فقط داطلة عليه اللام . ومن ذلك قول العامة «كلّك لقبي» «عملك شعبه» «حدّ لك ككتاب»

٢ التأثير العربي

الأثر الذي أحدثته السريانية في صيغ الالفاظ ومشتاها (morpholgy) هو أكثر منه في نحو الامة وهو يتناول الاسماء والضمائر والافعال
— ١ — الاسماء والصفات :—

(١) الاسماء والصفات على وزن «فعل» هي معتوجة الفاء في «الدارج» طقاً بالاوران السريانية . ومن امثلة ذلك :

قذيس	في الدارج	=	قذيشاً	في السريانية	=	قذيس	في العربية الفصحى
قنين	•	=	قنياً	•	=	قنين	•
بطيخ	•	=	بطيخاً	•	=	بطيخ	• (وهو دخيل)

(٢) اسم الآلة العربية بصاع على وزن «مفعّل» وهو منحرف في العامة إلى وزن «مفعّل»^(١) «انطبق لبورن السرياني».

ملفط في «الدارج» - ملفطا في «السريانية» ملفط في العربية الفصحى^(٢)
 (٣) تصاع الامة في العربية عادة بإخاق آخر الكلمة بـ «اء» مشددة، وفي السريانية بإخاق «آي» وبقيما ذلك في العربية حداثي بدلًا من حداثي، وروحاني بدلًا من روحاني.
 (٤) علامة التصغير في العربية هي باء ساكنة تزداد بعد ثاني الاسم، وفي السريانية «أوما» في الواحرو. ومن ذلك في «الدارج» «حارون» (بمعنى الصبي الطري الصغير) يقابله في العربية الأصلية «طرف» (تصغيره طريف و«كلون» (الكلب الصغير. وتشتمل أحيانًا للعافل ففصد التخب) و«شلفون» بمعنى الشاب الصغير^(٣)

ب - التأثير في الصائر :-

(١) بحثًا في الدارج، أبحثًا في السريانية - بحث في العربية الفصحى
 (٢) هني - - - - - هون

(٣) قلب الميم نون في صميم الخطاطين والعائين فقولون في العامة «أوكي» بدلًا من «أوك» و«يشين» بدلًا من «ينهم» وثلاث خاصة من خواص السريانية وحلة لا توجد في عربية العامة إلا في بلاد الشام وفي الواحي الشمالية من بلاد الجزيرة^(٤)

ج - التأثير في صيغ الافعال :-

(١) مداعي تاجر السريانية أدل في الدارج و«فعل» بـ «فيل» يقال «قِيم» و«نِيم» بدلًا من «قوَم» و«نوم»

(٢) وزن «فعل» ليس من الأوصاف العربية، ولكنه شائع في السريانية. ومنه في الدارج «قَوْنَع» و«حَوْرَك» و«قَوْنَم» و«دومر» (أوصد الباب) و«مؤكر» و«مؤكورة» هي كلمة سريانية «بَحَارًا»

(١) E.manuel Mattsson, 'Etudes phonologiques sur le dialecte arabe

ص ٨٩ "volgaire de Beyrouth" (٢) ص ٨١ "Emprunts Syriaques"

(٣) ومن الألفاظ الدارجة على اللسان العامة في الواحي عكار «ينون» أي البيت الصغير وفي الكورة «قَفْصُون» قَفْصُونَة أي العصف الصغير (٤) المطران أنطيمس يوسف

داود: «اللغة الشجيرة في بحر اللغة السريانية» ص ٤٤ من المقدمة

(٣) وزن مفعّل وشقّل^(١) من الاوزان الكثيرة الورد في السريانية والنادرة في العربية ومن ذلك « شتّخ » الحرج ، و « شلّب » الطقس
٣ التأثير الصوتي في التلغظ

التأثير الصوتي (Phonetic) على موعين ، من ما يتناول الحركات وحروف العلة ومنه ما يتناول الحروف الصحيحة
— ١ — الحركات :

(١) حذفها من صفات السريانية فله الحركات فيها . ومن آثار ذلك في العربية الدارجة إسكان الحرف المتحرك في أوّل الكلمة . تقول العامة في سوريا ولسان « كبير » « صغبر » وفي جهات كسروان « ضحيج » . وأحياناً يسكون الحرف المتحرك بحركة الاختلاس بين وسط الكلمة وقد يفلون حركته الى الحرف الذي قبله : « حرّمتك » « رزّفتك » بدلاً من « حرّمتك » « رزّفتك »^(٢) . وليس في عربية مصر بين شيء من هذه الخلّة . ولقد لاحظناها خاصة في لغة شرقي الشام كصدد وحبر والسك ومن ذلك ايضاً إسكان ثاني المتحركين المتصلين . قصه (قصّة) شركه (شركه)
(٢) إمالة النخبة الى الصم سواء كانت النخبة فاذة نفسها او ملحقة بالالف . وهو الإغلاف . ومن ذلك قولهم في شرقي . فلأح (فلأح) وأقام (أقام) وحال (حال)
(٣) إشباع الحركة في صبح الامر من الاحوف حيث فواعد اللغة ناهي بقصرها فيقولون في الدارج : « ريح » و « رّوح » كما في السريانية ، وكان حقهم ان يقولوا « ريح » و « رّوح »

ب — التأثير الصوتي في الحروف

هذا التأثير شائع يتناول معظم الحروف وسنكتفي بالاستشهاد ببعض الامثلة على ذلك
(١) الثاء كحرف لينوي هو من الاحرف السامية الاصلية . ولقد حافظت عليه العربية كما هو . ولكن السريانية حفظت بحيث اصح « ثاء » ثنى وجدنا في الدارج كلمة تلفظ بالثاء يقابلها ثاء في السريانية وثناء في العربية . صحيحة حار لنا الاستنتاج ان تلك الكلمة

(١) من ٦١ " Comparative Grammar of Semitic Languages " William Wright

(٢) من ٩٢ Matsson

وقعت تحت تأثير السريانية — ألا إذا غام دليل قيق على خلاف ذلك . ومن أمثلته :

توزر في الدارج — توزرا في السريانية - ثور في العربية النحوي
ومن هذا القبيل حرف « اذال » الذي يلفظه الكسروايون « كالذال » المهمل
ليقولون « دب » بدلاً من ديب و « لجة » بدلاً من « لذة » و « أبابا الذي » عوضاً
عن « أبان الذي »

(٢) من الحروف السامية الأصلية الصادرة ما هو في العربية شين وفي السريانية
سين . حيث يرى في العامية مبدأ يقابلها في السريانية سين وفي العربية النحوي شين يجوز
لنا أن نقول بتأثير السريانية

كسج في العامية — كسج في السريانية - كسج في العربية النحوي
ومن قبل ذلك « دمس » (صفت من الحمازة على الحائط) فهي « دوساً »
السريانية وليس في العربية النحوي ما يقابلها ، و « شجر » في « الدارج » بدلاً من « شجر »
وليس في السريانية ما يقابلها ، و « مَار » (الصخر الكبير) من « مَارَا » السريانية
وهي تقابل « منشار » الصربية

وعلى عكس ذلك من الأحرف السامية الأصلية حرف صافر هو في العربية الكتائية
سين وفي السريانية شين . فإذ عثرنا على لفظة من العامية تلفظ بالسين نقابلها شين
سريانية وسين عربية جاز لنا أن نعتبر ذلك من معايل السريانية :

لَبِشَ (لباس لا يميز له)	في الدارج —	لَبَشَا بالسريانية اشتقاق ليس بالعربية
المتخمة (للمريض المائل)	—	مَتَحَا —
المائل (يسمح به الماء الحائط)	من مَلَسَ	مَلَسَ —
شَمَطَ (شَمَحَ)	—	شَمَطَ —
شَمَل (كما في شعل الدالية)	—	شَمِلَ —
شَطَحَ (وَفَحَ)	—	شَطَحَ —
فَشَحَ	—	فَشَحَ —
بَشَطَ (فرش بضاعة على الأرض)	—	بَشَطَ —

شَلَح (كما في شَلَح ثِيَابِهِ)	— شَلَح	•	•	•	سَلَح بالعربية
طَمَش (كما في طَمَش عَيْنُهُ)	— طَمَش	•	•	•	طَمَشَ
شَوَار (حَانَط)	— شَوَار	•	•	•	سُور

ومن هذا القبيل « شَتَل » و « شَتَلَه » (الشجرة الصغيرة) و « شَرَفَه » التي ترجع الى أصل سرياني وليس في الاوضاع العربية ما يقابلها

(٣) الحرف الخافي في الالفات السامية « اَخَاء » لا يَجُزُّ في السريانية عن الحاء . فاذا وجدنا في الالفحة اللبانية حاء يقابلها في العربية الفصحى حاء او كافاً — او حاء يقابلها حاء — بحكم بان ذلك من معاويل السريانية

لن امثلة النوع الاول :

دَرَج (كما في دَرَجُ أَغْصَانِ الدَّالِيَةِ) في الدارج — دَرَج في السريانية — دَرَج في العربية الفصحى

ومن امثلة النوع الثاني .

خَمَط (أصغر الشجر) في الدارج — أو خَمَطَتْ في السريانية = خَمَطَ^(١) في العربية الفصحى
 دَرَجِين بَقْلَه . — بَرَجِينًا . — فَرَجَجَ^(٢) .

٤ « الكَمَل » السامية حافظت على اصلها السامية في السريانية كما هي اليوم في الالفحة المصرية ، وانكسرت فعمت الى الحميم في الالفحة العربية . فاذا اتينا على كلمات تلفظ في الدارج بانكاف او القاف او الفين — وذلك بداعي الكمل السريانية — وكان ما يقابلها في العربية الفصحى حيم بحكم بان ذلك من آثار السريانية :

كَمَر في الدارج = كَمَر في السريانية = خَمَر في العربية الفصحى
 مَرَكَا (الماء يبرج بالخمر) = مَرَكَا . — مَرَجَجَ .
 قُرْحِيًا (الدبر المعروف) = كُرْحِيًا . — الكمر الحمي .

(١) اطلب خَمَطَ وخَمَطَ في « محيط المحيط » (٢) ولا شك في ان هذه

ايضاً مستهارة من السريانية . والسريانية نقلتها عن الفارسية « برماخت »

من ١٤٣ A. Fraenkel, "Die Aramaischen Fremdwörter im Arabischen"

عذاف في الدارج = كذوف . = حذف " في العربية الفصحى

ويحصل في هذا اللب كلمات دارجة أخرى من مثل كَوْذَ (رُزَم) وشرقوطة وشركل (كما في شركل الخيطان) : يفتق وعنت (كما في عفت الطير) وزعن (كما في زعن المعدن) (٥) اللغة العربية أبقت من الأحرف السامية كلا الحرفين العين والعين، أما السريانية فاحتفظت بالعين فقط، والكلمات التي نلفظها العامة بالعين تقابل العين في السريانية والفين في العربية الأصلية هي والفة تحت تأثير اللغة السريانية.

عمص (كما في عمص عيبه) في الدارج = عمص في السريانية = أغمص في العربية الفصحى
 عبي (صار الشجر كثيفاً) . = عبي . = نعي وأعي . .
 باصوت (صلاة، طلبة) . = باعوتاً . = تقابل نعية . .

ومن ذلك عَمَدٌ ومعمودة ومعدان التي تطرقت من السريانية إلى العربية وليس في العربية الأصلية ما يقابلها

(٦) الحرف السامي - القاء - احتفظت به العربية، ولكن السريانية حولته في اللفظ إلى باء أو فا . وفي بعض الكلمات العربية المأخوذة عن السريانية تحول هذا الحرف إلى باء - فإدا وحدنا في « الدارج » كلمة فيها باء يقابلها بالسريانية باء أو فا وفي الفصحى فاء يحق لنا أن نرى في ذلك اثر السريانية

بُولاد في « الدارج » - بُولادًا في السريانية = بُولاد في العربية الكشائية
 طربون = طربوناً . = طربون

ويلحق بهذا اللفظة « صاوربة » التي يستعملها العامة بمعنى السلة وهي من أوستيريوا السريانية وليس في العربية الأصلية ما يقابلها - وهذه اللفظة دحيلة على السريانية من اليونانية (٢)

(١) من ٥١٥ William Wright, "Comparative Grammar of Semitic Languages"

(٢) وهي دحيلة من الفارسية (٣) الفرس طويبا العبي . « اصول الالفاظ

السامية كالعربية والسريانية التي دخلت في الالفاظ الاجتالية والاصبائية الخ » من ٣٣

٤ المفردات المستعارة

على ان هنالك عدداً عما ذكرنا طوائف من الكلم "طُرقت من السريانية الى العربية
ويمكننا ان نتمرّعها ووردناها الى اصلها بوسائل لغوية فيلولوجية وبمير الافيسة التي ذكرناها
أعلاه . واليك البعض منها .

قَرَدَسَح (كافي قَرَدَسَح النار) = قَرَدَسَح بالسريانية (قابل قَدَسَح في العربية المعجمة)

إِصْخَاح (فصل) = صِخْخَا بالسريانية

بَحْر (كافي بَحْر العُشاش) = بَحْر

نَمَص (كافي نَمَص الكلب) = نَمَص

زُوم (كافي زوم الثمرة) = زُوما

صَلُوحِيْنَا (صحن عيني) = صَلُوحِيْنَا

صَهْغَه (كافي جهجه الصوه) = كَهْصَكَه

رَلَفَ (حَسَنَ حَمَل) = رَلَفَ

زُبُون (كافي زُبُونَا) = زُبُونَا

كَذَن (كافي كَذَن) = كَذَن

كَوَز (كافي كَوَزَ بالابحبل) = أَوَكُوَزَ

دَقَر (حَسَن) = دَقَر

عَقَص (كافي عَقَص) = عَقَص

فَقَبِج (كافي فَجِجَ الثين) = يَسُوعَا

فَسِيس (كافي فَسِيس) = نَشِيْنَا

فُوك (حَصَر - ظَل) = فُوكَا

نافور (التقدمة والقربان)	=	نُور ^(١)
قُوط (كافي قُوط الزيتونة)	=	قُوط
برُشان	=	بُوشانا
نُطى (كافي نُطى الحائط)	=	نُطَا
عدان (كافي عدان سقي)	=	عِدَانَا

ومن الالفاظ الكلدانية التي تطورت الى العربية بواسطة المريانية امياء بعض الاشهر
وهي شباط، آذار، ايار، حزيران، ايلول

ولقد عثرنا على طائفة من الالفاظ الدارسة في شمالي لسان والتي لا يهمها اياء الساحل
وهي من اصل سرياني وهذه امثلة منها: «سُرا» (عنى الحصرم - الحامص) و «برُوسو»
(الاحاص) و «شوتجه» (القطعة من القربان المصلى عليه)

ومن دقق سبب الكلمات المستعارة من السريانية يجدها بالاكثير تمثل الحياة اليتيمة
والزراعية والرعائية، وبعضها عمالة علاقة بالحياة العقلية والدينية ولقد جمع عمالي في كتابه
٢٣٣ لفظة منها ١٧٥ من النوع الاول و ٥٧ من النوع الثاني^(٢) وفي قائمة حقيقة^(٣) لا اقل
من ٥٠٠ لفظة دارسة اليوم على السنة اهل لسان والشام ترجع الى اصل آرامي سرياني.
ومنه يتبين عظم تأثير السريانية في لغة البلاد

وما قاله عمالي في خاتمة كتابه بشأن لهجة كفر عيدا^(٤) من «أن» لا مبالغة في القول
ان لهجة تلك القرية هي لهجة عربية قائمة على أس سرياني» يصح على كثير من قرى لسان

(١) وهي من اصل يوناني - راجع المنبجي ص ٣٢ و Franckel ص ٢٧٨ ومن
الكلمات التي اساست الى العربية عن طريق السريانية «ناموس» و «قنديل» و «طحمة»
و «مطران» (٢) ص ٩٤ "Emprunts Syriaques", Foghal (٣) النص
يوسف حقيقه، "الدوائر في قضايا اللغة السريانية في اللهجة العربية العامية"

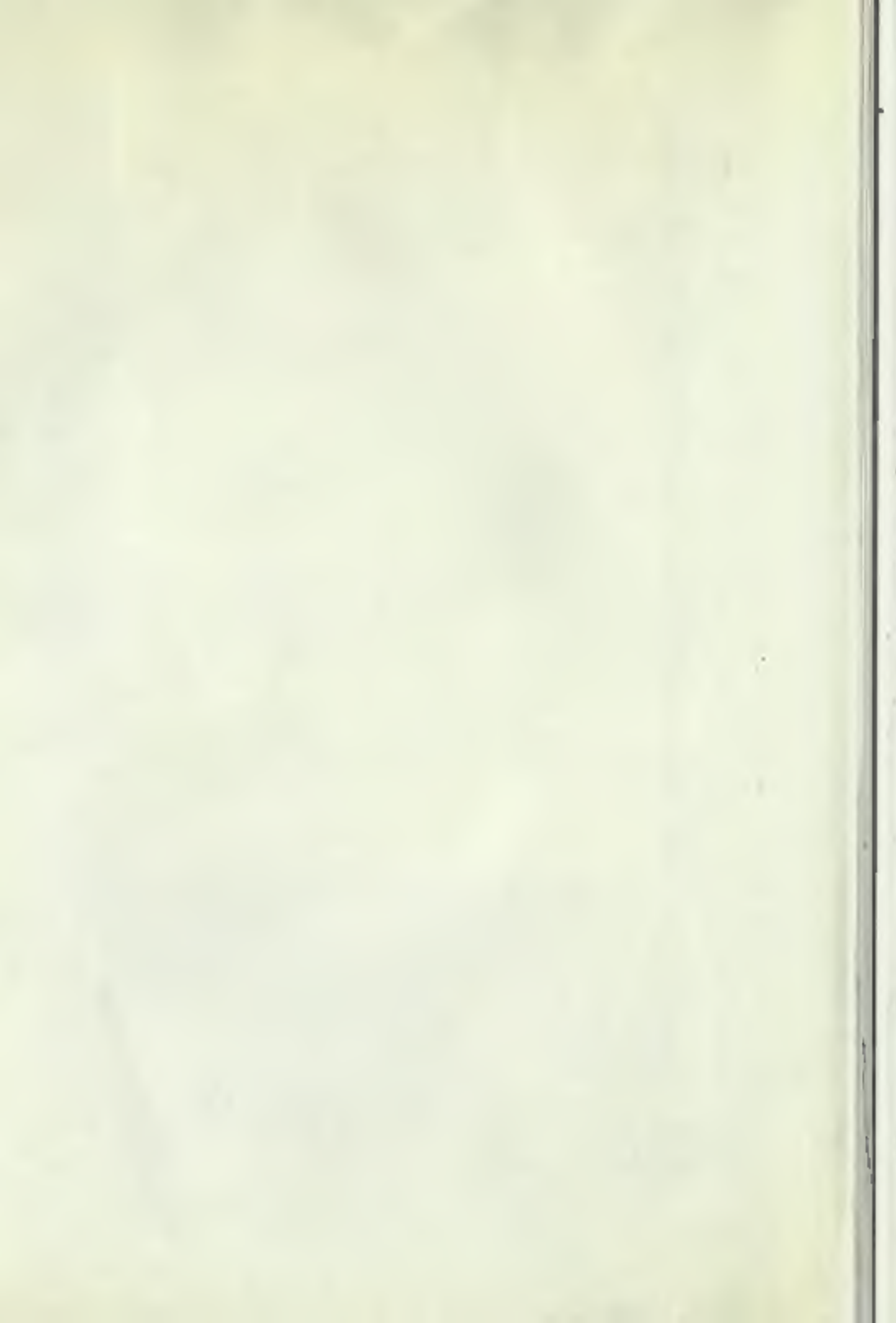
(٤) ص ٢٩٩ "Le Prier de Klar'abida", Paris. 1919 Michel Foghal

أصماء الضياع :

ولقد جمع حقيقه فخرًا من مئة اسم من أسماء قرى لبنان وضياعها توضع الى أصل مرباني
وهالك بعضها

عَيْنَاب	معناها	عين أبي	وَحَلَالَا	معناها	الرمل العالي
عَرْمُون	"	الثلّ الصغير	رَشْمِيَا	"	رأس المياه
بيت مري	"	دار سادقي	بَيْدَا	"	بيت الصيد
كفر شبّا	"	حقل النصة	كفر فاقود	"	حقل الآمر
بتمرين	"	سوق التجار	مَرْوِيَا	"	المياه العذبة
قرمائل	"	قرن الايل	جَبِيْنَا	"	الصاروخة
درعون	"	الذراع الصغيرة	اهدن	"	الجنة
مجدليّا	"	البرج	زَغْرَتَا	"	الصغيرة
شدّين	"	محل القضاء	نطرام	"	بيت العالي

الى هنا انتهت بها ابحاثنا بشأن اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان ، وبيان نسبتها
وعلاقتها بعضها ببعض . وفيها دليل ماصع على عى الميراث اللعوي الذي اتصل بنا من
آبائنا واحدادنا ، ومنه نتجلى العقلية السورية باحلى وروح ، اذ ليست اللغة سوى مظهر من
مظاهر العقلية القومية الاحتعابة . فمضى ان يكون لي ما كتبناه حاث^١ لعير ما على متابعة
البحث والتنقيب . ولا يرجي ذلك الا من يعتبرون اللغة واسطة لغاية ، لا غاية نفسها وشيئا
حيّا ناميا لا راكمآ جامدا ، وينظرون الى العربية مصفها حراء من كل ، لا كلاً قائماً بمصه
ولهجة من اللهجات السامية





492:H676LA:c

حزب البعث في سوريا

اللقاءات السياسية المحكية في سوريا والبعث

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01004184

